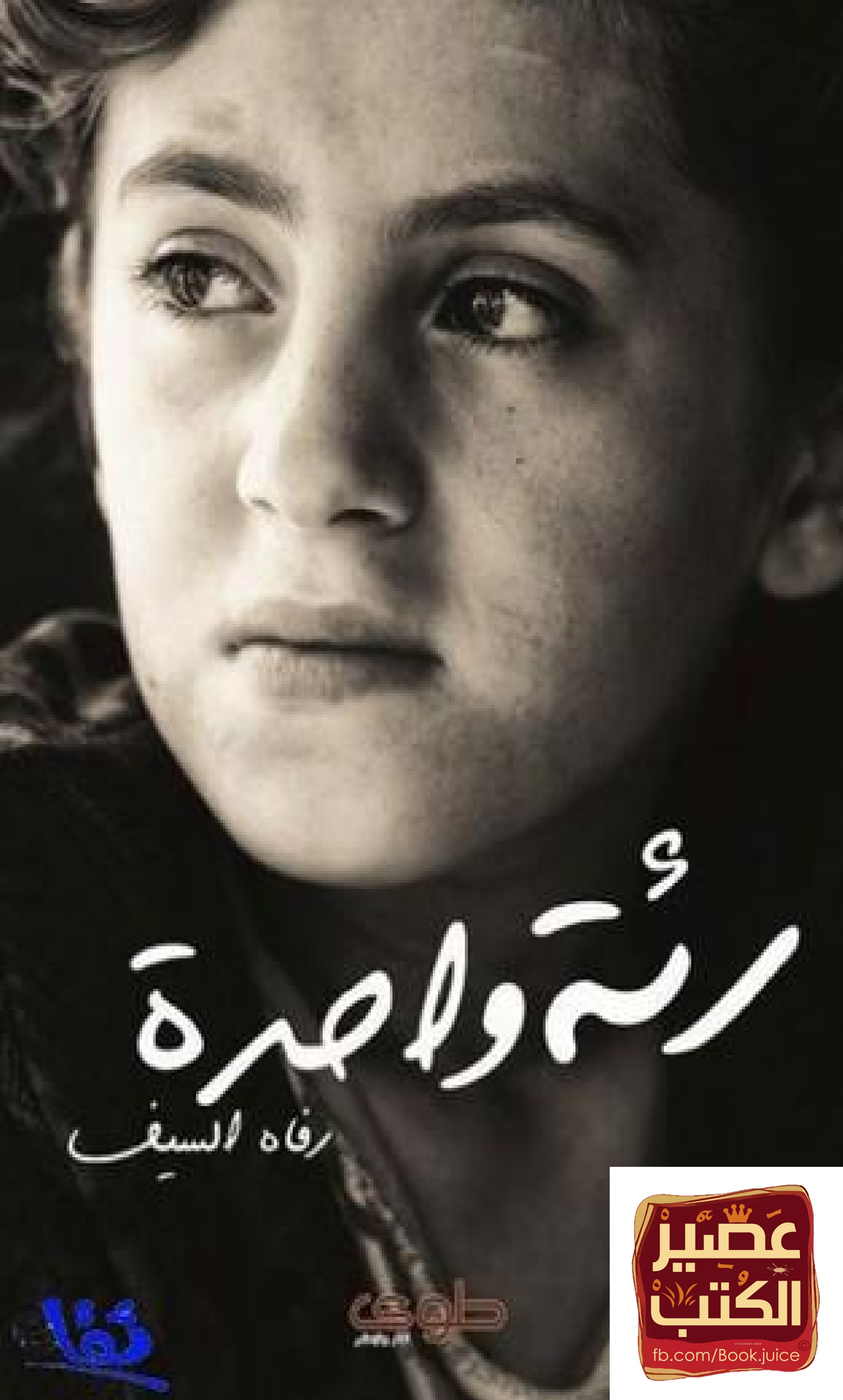


رُشة واحدة

رفاه السيف

رفاه السيف : رئة واحدة

رفاه السيف

رئة واحدة

نصوص

طوى

Book: One Re2a

الكتاب: رنّة واحدة

Author: Refah El-Seef

المؤلف: رفاه السيف

First Edition 2013

الطبعة الاولى ٢٠١٢

طوى

طوى للثقافة والنشر والإعلام - لندن

TUWA MEDIA & PUBLISHING LIMITED

19 TANFIELD AVENUE,LONDON,NW2,UNITED KINGDOM

Email: tuwa@london.com

TEL: 00966505481425 - 00966556687678

التوزيع: منشورات الجمل

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١

ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣، بيروت ـ لبنان

© *Al-Kamel Verlag* 2013

Postfach 1127 71687 Freiberg a.N Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

الإهداء

لأنّك يقيني الكبير، وجنّتي، وقلبي الذي آوي إليه، وعصمتي من حزن الدنيا.

لأنّك فتنتي، وحواسّي، وجهاتي، وأصوات الذين أحبّهم وملامحهم وقلوبهم.

لأنّك أنت: أحبّك «جداً» وليس كثيراً..

ظلّ.

يمكنني القول بأنّي أفتقد الظلّ الذي أكتب له رسائلي، الظلّ الذي يجمعني غيابه كلّ ليلة! وتخيفني هشاشة وحدتي بدونه، ويخذلني امتداده الطويل أمامي منكسراً على أقرب «عابر»!

أنا لمّا يتخلّى عنّي ظلّي. أغرس قلبي بجانب شجرة ياسمين وأبكي، ولمّا تزهر الشجرة أقطف لك ياسمينة فيها قلبي وربيع عمري وأخبرك أنّي أحبك أكثر

أن تنمو في الناحية الجافّة من قلبي ثمرة حزن طريّة، ولا يسقيها سوى بكائي يعني ذلك أنّي وحدي كفيلة بحزني هذا، وأنّي قادرة على نفخ خريفه الأصفر الذابل متى كنت بين يديك. وأنا حين أقول «وحدي» تعلمين جيداً أنّ هذا يعنيك أيضاً! أنا التي أنبت من قلبك الطيّب، وتتكئين علي.

أنا شجرتك الليّنة التي تنبت النور، غصنك الطريّ، وظلّك الذي يحيّره الضوء الذي يخرج من فمك فـ يمتدّ إلى قلبك ويغرس عمره هناك.

أنا الصبيّة التي تقف في الصدفة التي عجنها المطر، في البقعة التي

تكونين فيها أقرب إليها من قلبها الصغير، أنا شجرة ياسمينك، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أنا التي أحبّك كثيراً   أغرس كلّ ما أملكه في قلبك وأضمّك إليّ لتستظلّي بظلّي، ظلّي الذي امتدّ معك طويلاً حتى ملأني النور، وغمرني قلبك، ولفظني الحزن بعيداً عنه، وأدركت الحياة ألا جدوى من إيذائي وأنا لك.

أنا شجرة بيضاء لونها، تنبت قناديل، يتكئ عليها قلب من نور، ويحيطها الضوء من كلّ اتجاه حتى خسرت شيئاً واحداً: ظلّها!

لو أنّي أجمع روحي بتنهيدة واحدة.

لو أنّي أجمع روحي بتنهيدة واحدة. أزفرها لك في أغنية أشدّ فتنة من حزني، وأموت!

لو أنّي ألمس يدك ولا أستحيل إلى ضباب أو إلى حلم أو حتّى سماء، لو أنّ الأشياء التي بيننا تحكى للكون أو تغنى!

لو أنّي أستطيع احتضانك عمري القادم لتلمسي قلبي بيديك، لتلمسي الوطن الذي يُخلق فيني من صوتك، من تنهيدتك حينما أقول لك: أحبّك، من قلبك المخلوق من ضوء.

لو أنّي أستطيع أن أغمس يدك في روحي أو أبسط روحي على يدك!

فقط لو أنّي أقدر أن أمدّ لك عمري وأرحل. لما بدا هذا الصباح أقلّ نوراً مما أرى، ولما بدا كلّ شيء آخر وكأنّه يخبرني ألا جدوى من أن أكون. دونك!

يحدث أن نفتتن بالموت ونشتهيه. يحدث أن نعقد معه عهداً أن يقبّلنا نحن أولاً بعينين مغمضتين وساق مثنيّة وقلب يرتجف، قبل أولئك الذين نتنفّس من خلالهم ونتكئ عليهم ولنا فيهم «حياة» أخرى!

يحدث أن أحكي عن الموت كثيراً، وأظنّ بأننا أصبحنا «أصدقاء»! ليعبرني بعدها إلى غيري، لأشهق حزني دفعة واحدة وأبتلعه لتتعاظم تلك الغصّة في حلقي فيبدو صوتي بارداً وجافاً وغريباً حتى على نفسي، وأعجز عن إخبارك بأني رأيت الموت، وبأنّ عينيه كانتا سوداء وبأنّ صوته أكثر ألفة مما تخيلت!

يحدث أن نعتقد أنّ الحديث في أذن الموت مهاودة للحياة لئلا يؤذينا أكثر من بكاء يمرّنا في حلم مجوّف أو في هاجس رماديّ، لئلا يختفي صوتنا فينسانا، ويعبرنا إليهم.

أنا أحلم بالغائبين، بأولئك الذين ابتعدوا كثيراً حتى صارت ظلالهم اوسع حضناً منهم وأقرب.

أنا أخاف أن يأخذك العمر منّي، ألا يسمع صوتي وأنا أخبره بأنّي أحبّك ملء قلبي، أخاف أن يجيء الليل ويذوب ظلّك في أرقي، أخاف ألا يكفي عمري لأحبّك كما تستحقين، أخاف أن يحزنك موتي، أن يخيفك موتي، أن يعصر قلبك!

أخاف إن أنا متّ. أن أعجز عن احتضان نفسي واستحضار صوتك الطيّب حتّى يلين قلبي ويهدأ

أخاف إن أنا متّ أن تؤذيك الدنيا، أن يؤذيك رحيلي الطويل، أن تشعري بالحنين لـ فتنتي بكلماتك التي لا يشبهها شيء، لقلبي الممتلئ بك، لصوتي الهادئ، أن تشتهين أشيائي وتعجزين عن لمسها!

أنا أخاف أن يخيّب موتي ظنّك.

أخاف إن أنا متّ، وأرخيت يوماً خطوط يدي على يديك ألا تشعري بي!

أخاف إن أنا متّ أن يدرك أصدقائي بأنّي تخلّيت عنهم، وبأنّي لما وطئت عتبة جنّتك تركت كلّ شيء على حافّة الدنيا ورحلت إليك!

أنا أخاف أن أعبر الطريق الطويل الموحش وحدي. ولو أنّ يدك امتدّت لتحتضن يدي لامتلأت الفراغات التي بين أصابعي، لصارت يدي أكثر دفئاً، لانغمست بك وتبلل قلبي بالرضا، ولربّما صار الموت غاية في اللذة! لأنّ قلبك في قلبي، ولأنّي لمّا لمست الغيمة الأولى رأيت ظلّي منكسراً على الأرض، ورأيتك تقبّلين ظلّي.

هذا الحديث فاضح يا روح! يظهر من قلبي أكثر مما يخفي، ويهرب من بين يدي كـ زئبق، يتنصّل من الناس والحياة ووجوه الأصحاب «التي صارت غريبة لا تعنيني بشيء»! إليك وحدك. للأمان الذي يخلقه قربك في روحي، للكلمات التي تحتضنني برقّة، لأصمت. لأخبرك بصمتي المخيّب أن تستمعي إلى صوت تنفّسي الخائف. لأنك بعيدة، لأنّي أحتاج دهشة حضورك لأكون بخير، دهشة وقوعي تحت سطوتك، والارتخاء بين يديك. ولأنّي أحتضن نفسي بأصابعي العشرة الباردة، ورغم هذا لا أكفّ عن الارتجاف!

يتعاظم فيني الخوف أن أخيّب ظنّك، أن أعجز عن تحسس الشعور كاملاً بقلبي الممتلئ بك، بعشرة أصابع، وبأربعة وعشرين حرفاً فقط، لأنّي أحتاج أن أقول لك: أحبّك. أحبّك ولن ينتهي هذا الحديث أبداً بيننا!

أحتاج أن أشهق نفساً طويلاً يكفي لأخبرك أنّ صوتك الليّن الغاية في اللذة يلمس قلبي برفق ويضغط عليه، وأنّه صار يدفعني لبكاء رماديّ لا أفهم سببه، وأعلم أنّه يفسد مزاجاتنا، يجعلني أشتهي حضورك،

ومرورك على جسدي المرتجف، المالح، البارد كمطر شتويّ، أشتهي أن ببرد البكاء في قلبي، أن يجف أو يذبل أو يموت، أن أستشعر رتابة تنفسك التي تداعت تماماً وأنتِ أقرب إليّ من قلبي. وأطمئن!

أشتهي أن يصغر كلّ ما حولنا، أن يتركنا هذا العالم في زاويته ويرحل عنّا عمراً آخر أن يكون احتضانك لي أكبر وأعمق وأطول من خيباتي الصغيرة، من الغياب الذي يقع بيننا ويمرضني، من العمر الذي كان خالياً منك، أكبر من اللهفة والظمأ والاحتياج. أشتهي أن أتضاءل بين يديك لدرجة تودعيني روحك وينتهي كلّ هذا الوجع الذي يحدثه الغياب!

أنا أخاف أن أخبرك أنّي أشتهي أن تمرّري يدك على جسدي، أن تحضنيني للحدّ الذي تكون رئتك أقرب إليّ من هواء العالم الكثّ، أن أتنفّسك وأحبس الهواء في رئتي وإن عنى ذلك موتي «بك»، وأن يكون ارتداد النبض في قلبك هو الصوت الوحيد الذي يربطني بهذا العالم.

أنا أشتهي أن تقبّلي أوردتي الصغيرة الممتلئة بك، أطرافي، يديّ التي تحاول عبثاً أن تختصرك، انحناءات النبض فيني، أن تقبّلي يد صوتي قبلة طويلة تغيّر تماماً شكل الحياة الذي أعرفه..

من العبثيّة أن أحاول احتضانك

بـ «كلمة»!

ومن العبثيّة أيضاً أن أظنّ أنّ قلبك من أشياء لا تشبه الجنّة.

أنا تلك الصبيّة التي شعرت بالخوف يوماً، وكان العالم أمام عينيها أشبه بـ لون واحد ممتدّ لا ينتهي، ولا يتراءى لها بألوان أخرى تذهب عنها حيرة العمى، أو تشعرها أنّ ثمة أرواح أخرى تشاطرها هذا المدى.

الصبيّة التي لمّا ظنّت أنّها مصابة بالعمى أغمضت عينيها وبكت، لكنّها لم ترَ شكل البكاء ولا شكل النور!

تلك الصبيّة أدركت أنّ الحديث للعابرين لا يشفي، وأنّ اليقين المعلّق على أكتاف الأصدقاء أقصر من غربتها، وأنّ الكتابة لامتداد اللون الأبيض وحدها قادرة على جعل الهواء يتسرّب إلى رئتيها، لئلا تقع في فخ الموت لفرط «شعور».

أنا تلك الصبيّة التي لمّا أحببتِها «أنتِ» بكلّ قلبك الليّن ودهشتك الملائكيّة تغيّر شكل الحياة كما كانت تعرفه، وصارت الكتابة ترفاً تشتهيه ولا تستحقّه. لأنها لا تشعر معك بالحزن ولا بالوحدة!

أنا أشتهي أن أزرع في صباحك حديثاً يجعلك تبتسمين، حديثاً يخبرك

اني أمدّ قلبي الصغير وأضعه بين يديك، حديثاً طويلاً لا ينتهي إلا بتقبيل صوتك.

أنا تلك الصبيّة التي تحبّك للحدّ الذي تشعر معه بالوجع في قلبها، للحدّ الذي يبكيها فيه عجزها عن إخبارك عن شكل هذا الحبّ كيف أنّه يتعاظم فيها كلّ يوم، وكيف أنّه جنّتها، وشفاؤها

أنا الصبيّة التي تحبّك للحدّ الذي تريد أن تخبر فيه الدنيا أنّ يقينها فيك اكبر من وجعها، أنّها تتنفس من خلالك، وأنّ قلبك من نور وأنّه ما خذلها أبداً. أنّك «معها» وهذا كلّ شيء!

أنا أدرك جيداً أنّك تشعرين بالوجع على الأشياء التي توقعني في اشتهاء بكاء غريب أسكبه على صدرك، ليتحوّل صوتك إلى قلبٍ محبّ يتحسس قلبي فـ أطمئن، ليصير صوتك يداً تمرّ على صدري برفق، لأشعر بلذّة ولوعي في جنّتك.

أنا أدرك أنّك تشعرين بالقلق على الأشياء الصغيرة التي أبتلعها مع الليل الطويل البارد وأنا أعجز عن النوم، وأنا أحاول استحضار الدفء الذي يخلفه احتضانك لي.

لأزرع في صباحك قُبلاً طويلة أخبرك بعدها أنّي «أشتهي» حديثك واحتاجه.

اخبرك أنني أشتهي أن أسمع صوت هذا الحبّ الذي يملؤني، أن المس شكل «أحبّك» من فمك. أنّي أغمض عيني وأشعر بغصّة أخشى أن تلمسينها في عنقي!

يقيني أنّ هذه الكلمة هي أكثر ما قيل لي صدقاً، يقيني أنّ هذا القلب

الأبيض الطيّب ممتلئ بي، وأنّي في كلّ مرّة أسمع صوتك الدافئ أتلذّذ بجنّة قلبك. كلّ ذلك يعظّم فيني الخوف أن أفقد أكثر قلب أحبّه، أن أفقد وطني وأموت غربة، أن أفقد صوتك وقلبك وكلماتك، أن أفقد شكل الأمان الذي أراه فيك. وأنّ الدنيا ستكون أقصر من أن يذهب عنّا الظمأ! الخوف من أموت وأنا أعطشك أو أسوأ: أن أحيا كذلك!

قلبي يخبرني بأنّه يجدر بي أن أحفظ شكل هذه الكلمة جيداً في كلّ مرّة تقولينها لي، بنبرة صوتك التي تلين كثيراً عندها، بـ نفَسِك وتنهيدتك، بالاحتضان الذي لا يشبهه شيء في الدنيا! بالشعور الذي لا يكون إلا معك.

أنتِ روحي، ووطني، وكلّ أصدقائي، ودنياي البيضاء التي لا ينتهي فيها الفرح!

كلّ الأشياء تتسرّب من بين يديّ إلاّكِ. وأنظر إلى يديّ غير عابئة إلا بالفراغات التي بين أصابعي، وكيف لو أنّ يدك تحتضن يدي، وأصابعك تمتدّ فيها لما تسرّب العمر منّي!

أنا لن أحزن «وإن تسرّبت منّي الدنيا كلّها» بعد احتضانك!

أنا لن أبكي حين تلمسين خطوط يدي برفق، وتدسّين يدك في الفراغات بين أصابعي. أنا لن أشعر بالخوف لمّا تعبرين معي هذا العمر الطويل، الأبيض، المليء بك، الذي تقبّلينني فيه كلّ صباح، وأخبرك فيه بأنّي «أحبّك».

أخاف عليك من الغرباء الذين يرون حزني بك جليّاً إلى هذا الحدّ، إلى الحدّ الذي يزرع فيه عازف الناي في عينيّ ابتسامة صغيرة ويخبرني أنّ هذا اللحن الباكي هو تعويذتي للقلب الذي أحبّ، يغمض عينيه ويزفر لي زفيراً عذباً لا أظنّه ينتهي. وأجمعك في قلبي كلحن رائق يلقيه أحدهم على مسمعي في مدينة غريبة، كموسيقى تقطف قلبي في صباح بارد، مرّ كمطر لا يهطل وإن تعاظمت حاجتي إليه!

أخبئك في حواسّي وأنسى أنّك لست هنا لتلتقط أصابعي وتغمرها، لست هنا لتحتضنني وتخبئني عن هذا العالم البائس الذي يؤذيني! واشتهي لحظتها أن أستحيل إلى غيمة.

ذلك الرجل الذي يقبّل نايَهُ يخبرني بأكثر مما يجب!

يغمض عينيه وينفخ أسراري الصغيرة بلحن رماديّ بارد، لأقف أمامه ككل أولئك الغرباء، أسرق قضمة لذيذة من صوت الناي وأمضي وكأنّي لست المعنيّة بكلّ ذلك البكاء الموسيقيّ الفاخر! وكأنّ الرحيل عن ما يذكّرني بصوتك سيعيد لي قلبي حيث كان، على شفا حفرة من حياة.. متورّطاً بكلّ أولئك الذين لا يعنيهم أمري في النهاية، ولا

يدركون أنّي حزينة حين لا أتنفّس! وكأنّ الرحيل عن غيابك يلقي بي في ظلّ حياة لا يشتهي أحدهم تقبيلي فيها!

مغادرة الفجائع بهدوء تحتّم علينا أن نكون أنيقي البكاء، عميقي الحزن حدّ التآلف معه والابتسام له، وصافي النيّة للحدّ الذي يشتبه عليهم الأمر ويظنّونا نبكي ارتجاف قلوبنا، وتلمّس ذلك الغريب لرئته الثالثة وهو يزفر روحه للمارّة الذين لا يبكيهم حزني!

هذا اللحن الذي يشبه عينيك يكبر في ذاكرتي، للدرجة التي لا أعود أسمع في رأسي صوتاً آخر، للدرجة التي أرى فيها الصباح الذي أتى متأخراً بلون أحمر يشي بالحزن، وكأنّه يخبر العالم أجمع أنّي عاجزة عن ابتلاع البكاء المعلّق في منتصف حلقي، عاجزة عن النبض بوجع أقلّ من هذا، وعاجزة حتّى عن استحضار صوتك. صوتك الطيّب الذي كان يقبّل روحي بالأمس. كأنّ الأشياء تتواطأ وتخبرنا أننا أكثر عطباً مما نظنّ، وأننا أنصاف بشر، بذاكرة مثقوبة وقلب ينبض أكثر من اللازم، وكثير من البكاء الذي لا يشفي. وأنّ اللحن الذي يزفره ذلك الغريب ليس إلا ضباباً أعمى يذوب في ذاكرتي.

وأغادرك إليك أعبر البياض من بياض إلى بياض، يحفر روحي صوت الناي، وتمطر الدنيا ولست معي!

الأمر

أنّي لمّا أشتهي تقبيلك برسالة.

أصاب بما يشبه الشلل!

الأمر أنّ النور في قلبك لا ينطفئ، وأن روحك البيضاء النيّرة. هي لمعة الضوء الوحيدة التي تبصرها عيناي في هذا العالم الموحش، البارد، المليء بـ غرباء!

الأمر أنّي لمّا أشتهي تقبيلك برسالة. أصاب بما يشبه الشلل!

الأمرّ أنّ الموت لا يستجدى من الله! وأنّ الحياة التي نمارسها برتابة قد لا نكون حياة بالضرورة!

لمّا نشعر بالخواء في قلوبنا، بالفراغ الهائل، بأن يدنا امتدّت لدواخلنا وانتزعت منّا أجمل الأشياء فينا. لمّا تتعاظم الغصّة في عنقي، ونكبر لتصبح شيئاً من الضخامة حيث لا يمكن إخفاؤه، وأبتسم ببلاهة الأطفال ويسقط دمعي حارّاً، يتجاوز كلّ ملامحي ويقع على قلبي تماماً أدرك تماماً أن العمر بدونك لا جدوى منه! وأخجل أن أخبر الله أني أشتهي الموت هذه الليلة، لأنّك ستقبّلينني صباحاً، ستحيطينني بمدبك وتحكين لي أشياء طيّبة، لأنك نورانيّة بما يكفي لأبصر من

خلالك الحياة، الحياة كما تبدو من خلالك أنت فقط!

أفرش الكلمات على تعرّجات يدي، أحاول أن أتنفّس دون أن يخذلني قلبي بالموت أكثر! يكبر في قلبي صوتك الدافئ وأبتسم حتى يغافلني البكاء فتغرق كفّي بالملح وتذوب الكلمات!

أنتِ التي لا يمكن لـ يدي المعطوبة عن الكتابة أن تفيك حقّك. أنت التي أحبّها أكثر من كلّ شيء، للدرجة التي أتمنى فيها بطفولة مجنونة أن أكون كنزة الصوف الشتوية الأثيرة لديك، الممتدة على رقبتك، التي تدسّين فيها يديك. كنزة الصوف البرتقالية اللون التي تعانق قلبك ليذهب عنك البرد، والظمأ، والتعب، كنزة الصوف التي تنفخ الموسيقى في أذنك، وتحلم أن تكون أقرب إليك من حبل الوريد.

قد أختار أن أصاب بالخرس، أن لا أخبرك أنّي الآن لك أكثر من نفسي، وأنّ روحك البيضاء زرعت في قلبي شجرة ياسمين غصنها أخضر، وأنّ امتداد جذورها يشعرني بالوجع في قلبي أحياناً

قد لا أحكي لك حكاية الصبيّة التي رأت الموت، التي ما عاد قلبها معطوباً بقربك، عن الليل الطويل البارد الذي يؤرقها فيه حزنك الطريّ، عن جدوى العمر فيك أنتِ وحدك، من بين كلّ أولئك الذين عبروها.

لكنّي أحمل من اليقين بك ما يرفعني عن الأرض خطوة، ما يخلق في صدري ضوءاً يشبهك، ما يصيّر الناس ضباباً لا أراه ولا ألمسه، ضباباً أدرك تماماً مدى خفّته! أنا أحمل في قلبي من الحبّ لك ما يجعلني أرغب في أن أصبح بحجم قلبك تماماً، بحجم يدك، بحجم رئتك، ما

يجعلني أريد بشدّة أن أختبئ فيك عن العالم الذي لم يعد يعنيني! أن أضع رأسي على روحك وأغفو ... ولا بأس إن زارني الموت حينها!

أنا أحبّك للحدّ الذي أعلم فيه جيداً أن شجرة ياسمينك في قلبي لن تذبل، ولن تموت، وأنها ستثمر زهراً أبيض يحمل رائحتك ويتدلّى من قلبي

أن ينبض قلبك ألف مرّة في المطر

أن ينبض قلبك ألف مرّة في المطر، ذلك يعني أنّك حيّ أكثر من اللازم، وأنّ عليك أن تموت قليلاً

أن تشعر بأنّ قلبك «لفرط ما ينبض» لم يعد ملكك! أنّه صار للغير، أنّه سيغادرك، وأنّك مجرّد من كلّ شيء، عدا انتفاضة أصابعك التي صار لونها يشبه الموت أكثر ذلك يعني أنّ أحدهم جدير بك أكثر أكثر حتّى من نفسك!

أن أختار العزلة، أن أكون بعيدة عن كلّ هذا العالم المصاب بالفرح. أن أهاود الزفير أن يمنحني أكثر من انقباضات قلب مرتبكة، أكثر من تعب ثقيل يشعرني بما يشبه الموت.

ذلك يعني أنّي أخاف أن تتخلّي عنّي، أن أخسر معك كلّ الأسباب التي تجعلني ابتسم، وأشعر بأنّي بخير، أن أعاود الشهيق بعد أن خذلني قلبي في أن يزفر الهواء الفاسد في رئتي. فلا أجد ما يستحقّ عناء التنفّس لأجله!

أن يمتلئ قلبي بأحدهم، للدرجة التي يتخلّى فيها طوعاً عن الحديث، عن التنفس، عن الحزن أثناء حضوره، ذلك يعني أنّ شكل الأرض ليس بالضرورة كما أعرفه!

ان أصل بالجنون للحدّ الذي أتخلّى فيه عنّي لأكتب عنك. عنك أنتِ من بين كلّ أولئك البشر الضبابيين. ذلك يعني أنّ على أصابعي أن تكون حيّة، أن تتوقّف عن الارتجاف، أن يهدأ نبضي، أن يكف قلبي عن هذا الوجع الغير مبرّر. وأن تكون اللغة أكثر جدوى.

ان أهرب عن هذا العالم الخالي منك إليك، أن أقبّل أشياءك الصغيرة، قلبك الطيّب، أن أحتضنك عمراً، أن يحتويك قلبي الصغير الممتلئ بك بين أوردته ويعصر قلبك، أن يكون لي قلبان، أن ينسكب زفيرك على كتفي، وانتفض لمّا أمرر يدي على شعر الطفلة الصغيرة فيك مدركة كم كانت طيّبة، أن أهمس في أذنك الحديث الأكثر شفاءً، الأكثر لذّة، أن أمرّر يدي على خطوط يديك لتلفظ عنها التعب. لتكوني بخير، لتكون صباحاتك أجمل، ويكون عمرك أجدر بالحياة. لتكون يدانا شيئاً واحداً بمعزوجات فريدة من نوعها.

افتقادك يشعرني بالخدر البارد، في الرغبة بالعزلة عن هذا العالم ومغادرته إلى جنّتك.

أنظر إلى القلادة المتدلّية حول عنقي، إلى أنفاسي التي تستردّ نفسها في كلّ مرّة دون أن أخبرها بأنّي حيّة، أو أنّي أرغب في تلك الحياة بالضرورة، إلى الخيط الذهبيّ الرفيع الذي يتحرّك برتابة. وأفكّر ماذا لو كان الموت خياراً؟! ماذا لو قدّمت لك عمري العشرينيّ الأنيق، المليء بالفرح والأصدقاء الزائفين ورحلت؟! ماذا لو اختارت صبيّتك الصغيرة المجنونة أن تتخلّى عنك أولاً؟! أن تصيبك في قلبك بنفس الجرح؟! ماذا لو اخترت أن أموت؟!

عيناي معلّقتان على الخيط الذهبيّ الفاصل بين الحياة والموت، بين أن يسمع قلبي المتعب حديثي المجنون ويتخلّى عن نفسه!

بين أن يدرك أنه يشعر بالوهن، وأنّ جئتك غاية في اللذّة، وأنّي جديرة بالحياة معك أكثر من أيّ حياة أخرى.

رتابة النبض قد تخدعنا، قد تبدو الحياة أكثر بساطة مما تبدو عليه، أقلّ كلفة، أقلّ وجعاً!

قد نفكّر أننا نرغب في أن نخبر الموت عن خيالاتنا الصغيرة، عن التفاصيل التي تشعرنا بالخوف والوحشة، عن أولئك الذين لسنا بدونهم سوى «مصابين» بالموت.

قد نفكّر أنّه يمكن أن يشعر تجاهنا بالشفقة، أو أنّه يدعنا نقول الأشياء الأخيرة التي نودّ قولها، قد نظنّ أنّه يمكننا التنبؤ به كثيراً، لندرك أنه ما كان حلماً سيئاً نغادره بشهقة عميقة، لنُبعث في الصباح الذي سيبدو لنا غير مؤذٍ تماماً، يغنّي لنا فيه عصفور أبيض، ويدفعنا لارتكاب الحياة دون أن نشعر بتكلّف ذلك!

لمّا يصبح التورّط بالحزن هو الأكثر حياة. كان عليّ أن أحكي لك عن فجائعي الصغيرة، عن الأشياء التي أصابتني بالعطب، عن أولئك الذي خذلوني ورحلوا، عن الغصّة التي بنت لها بيتاً في قلبي، التي شعرت بها لمّا كنت أعلّق الفرح على أكفّهم وأمدّ يدي بانتظار أصابع لن تلمسني، عن أولئك الذي أخبروني أنّ الموت يمكن أن يكون صديقاً طيّباً..

عن العمى لمّا أُصاب به وأمدّ يدي باتجاه كلّ شيء، ويخذلني كلّ شيء حينها.

عن حدّة الإدراك الذي يصيبني بالصداع، عن حواسّي التي تتفجّر في حضورك الغاية في الدهشة، عن العشرة أصابع حين لا تبدو كافية لأن نختصر حضورك، عن الصوت الذي لا أشفى منه، عن الحزن الليّن، عن اشتهاء قلب أحدهم.

كان عليّ أن أخبرك أني قد أتخلّى عن الكتابة من أجلك، عن أنك تنفخين الفرح في قلبي للحدّ الذي لم يبق فيه ما يكفي لأن أبكي على «ورق»!

أنتِ التي علّمتني أنّ الفرح ثقيل من دونك، وأنه سينزلق من يدي إن كنت وحيدة. ذلك أنّه يجدر بنا اقتسامه مع الآخرين.. الآخرين الذي يبدو لائقاً بهم على أيّة حال..

لو أنّ الأشياء الإنسانية الصغيرة.

لو أنّ الأشياء الإنسانيّة الصغيرة كالبكاء تكون أكثر جدوى في غيابك الضبابي، لكنتُ قادرة على أن أسير على الغيمات وعيني مغمضتين.

دون أن أقع «مطراً» في ذلك الفراغ الذي يهوي بي إلى العالم، حيث كلّ شيء آخر سواك!

حيث لن أكون سوى دمعة فرح غاية في الضآلة، غاية في اللين، غاية في الضعف، وغاية في القدرة على الموت.

كيف لنا أن نشرب صوت أحدهم حتّى نشعر بالبلل في أرواحنا؟! كيف لنا أن نستسقي حديث أحدهم الرائق كلّ صباح، أن يذهب عنّا الظمأ، أن نشعر بالألم اللذيذ على شفاهنا المبتسمة منذ حياة. دون أن نخبره بأنّ «كونه» في قلوبنا هو ضرورة عيش، لا ترف!

وأنّ شكل الحياة تغيّر منذ اختصر كلّ الشعور الإنسانيّ في «صوت».

كيف لنا أن نلمس أحدهم دون أن يشعر بالوجع، دون أن يشعر بنا من الأساس؟!

كيف لنا أن نكون خفيّي الحضور إلى ذلك الحدّ؟!

كيف لنا أن نمرّر يدنا على اليد الأخرى، دون أن تخيّبنا رتابة شكل شعورنا بأنفسنا. وإدراكنا أننا نتكئ على الآخرين أكثر مما نفعل على أنفسنا!

وأنّ أولئك الآخرين أكثر فتنةً بالخطوط التي تعبر كفّي، أكثر قدرةً على لمسها دون أن أشعر بالخيبة!

كيف لنا أن نعظّم حواسّنا تجاه أولئك الذين لا يشبهون أحداً، أولئك الذين لا تكفيهم دهشة الحواسّ الخمس، أولئك الذين تبدو محاولة أن نحبّهم كما يليق بهم هو هدر لحواسّنا لا أكثر! هو محاولة لنزيل عنّا العالم بأكمله ونقف على خطّ رفيع جداً للحدّ الذي نشعر فيه بالدوخة. كمن ينفض عن طريقه الضباب بيديه دون أن يدرك أنّ قلبه هو المصاب بالغبش.

كيف لنا أن نلمسهم، لندرك أنّهم أكثر من «سحر»، وأنّهم لن يرحلوا إن ألقى أحدهم يوماً في قلوبنا ما يجعلنا ندرك هشاشة اليقين بأحدهم.

أن نحاول أن نكون طيّبين مثلهم. هو كأن ننفخ في قلبهم ليكبر، ولا نزيد فيه إلا الوجع!

لمّا أخبرتني أنّك تخافين على قلبي من الوجع إن أنتِ لمست قلبي بيديك. مرّرت يدي على يدي الأخرى ألف مرّة، وفي كلّ مرّة لم أشعر بشيء!

أحزنني كثيراً أنّي لا أرى الأشياء التي أشعر بها، أنّ عبورك فيني مليء بالدهشة للحدّ الذي تشبهين فيه غيمة بيضاء تمطر قلبي كلّ صباح، وتعاظم الحزن في قلبي

لأنّ أولئك المليئين بالشعور حدّ الترف عاجزون عن البكاء في وحدتهم، وأنّي هذا الصباح كنتُ وحيدة للدرجة التي وقعت فيها «مطراً»!

أنتِ أنـا

تشبهينني في كلّ شيء.

لم يكن على ذاكرتي لتسرق منّي الصباح المشبع برائحة المطر إلا أن يسقط حزنك عليّ، كغياب ثقيل على القلب، كأولئك الذين يرحلون دون أن يخلّصوك منهم تماماً. كتشرين الذي صرته، بطريقة لن يفهمها أحد!

أنا لمّا أسير بمحاذاة حواسّي الخمس، لا أحد يدرك تماماً كيف يكون شكل سيري!

كيف أنّ الأرض تحتي لا تكون ثابتة بالضرورة، كيف أنّي أدوخ، وكيف أنّ عليّ أن أتخلّص من صوتك الذي لا يسمعه غيري، أن أقضم النسيان وأنظر للطريق المتخيّل لئلا أقع فيه!

أنا تعلّمت من الخيبة الطويلة أن أتظاهر بالنسيان، أن أبتلع بكائي وأبتسم طويلاً حتى تعلق شفتيّ على طرف الدنيا.

أنا لمّا شعرت بالحزن بالأمس تكوّرت على نفسي، فتحت نافذتي للهواء البارد، ودسست يدي في شعري ومررتها بتعب، أنا اخترت أن أغيب قليلاً عن هذا العالم البائس على أن أستشعر الوجع الذي زرعه فيني حزنك!

أنا أشعر بالإعياء، بالدوخة التي تسرقني من هذا العالم إليك وحدك. إلى الرعشة التي يخلّفها مرور يدك على قلبي، إلى الدوخة التي تخلقها فيني أصابعك العشرة وهي تضمّ كفي إليك، إلى طعم عناقك، إلى شكل التعب لمّا يرتخي عليك ويتنفّس.

صرت آلف وحدتي بك، وانعزالي عن الآخرين الذين لا يشبهون صوتك الذي يجعل الصباح في قلبي جنّة. صرت أشعر أنّك وحدك تستحقني، أنّي أحد أشيائك الأثيرة التي تستلذّ بها،

وابتسم كـ طفلة. يظنّ الآخرون أنّي ربّما سعيدة وحسب، دون أن يدركوا أنّ قلبي الصغير يرتعش. وأنّ يدك الطيّبة تلمس قلبي كما لم يفعل أحدهم من قبل! وأنّ عبورك لم يكن شيئاً عادياً.

ربّما كنت الوحيدة التي تعلم أنّ ابتسامتي الكبيرة هذا الصباح يقف خلفها بكاء.. بكاء وانتهى!

جرّب أن.

جرّب أن تكتب حديثاً تبكيه من قبل ومن بعد، حديثاً تودعه قلبك وتقف فارغاً من كلّ شيء بعد أن تزفره في وجه نوفمبر البارد، بلا قلب، بلا أصدقاء، وبلا صوت، وبألف ذاكرة!

جرّب أن تفتح فمك وتعجز! تعجز عن الحديث، عن إظهار الحياة لأولئك الذين يعبرونك غير آبهين، وكأنّك ضباب لا أكثر!

كأنّك قطرة مطر قنطت من رحمة الله فتعلّقت في غيمة غريبة لن تمطر على رؤوس أصدقاءها!

كنت أظنّ أنّ المطر باعث للحنين.

كنت أظنّ أنّ الطيّبين لا يشعرون بكلّ هذا الوجع في قلوبهم!

كنت أظنّ أنّ التقائي بروح بيضاء سيكون أقلّ وجعاً

كنت أظنّ أنّ الحياة أخذت منّي كلّ ما تريد وانتهى الأمر، وأنّي سأكون قادرة على ارتكاب فرح ما، على الإسراف فيه، على دسّ بعضه في يد الفقر السمراء المتجعّدة، ورمي بعضه على الشوارع التي لم يبللها المطر!

كنت أظنّ أنّ الناس لن تدوس على الفرح بهكذا قسوة! أنّها ستتلقّفه كشيء يحتفى به، كشيء «مرئيّ» أقلّه!

كنت أظنّ أنّي جديرة بالحياة لا أكثر! حتّى سقطت على أرض غريبة لا يسمع أحد فيها صوتي، لا يبتسم أحد فيها لمّا أغنّي له، ولا أحد يكترث إن كان قلبي يتفجّر أو إن كان مطراً!

حزن أن تتكوّر على نفسك، أن تبكي دون أن يعرف أحد!

حزن أن تظلّ شتاءً بأكمله على قارعة حنين. بانتظار عشرة أصابع تمرّ على قلبك المتعب وتحكي له حديثاً طويلاً غاية في الطيبة

حزن أن تموت بانتظار قلب يدسّ نفسه في صدرك، ليكون لك قلبان. أحدهما ميّت، والآخر يحبّك، ومفتون بك أكثر من الموت نفسه!

ثمّة ما يخبرني أنّ عليّ أن أتوقّف عن إيذاء الآخرين بالكتابة، عن وضعهم أمام مرآة غاية في الضخامة يرون فيها بأعينهم مدى ضآلتهم مقارنة بالفراغ الهائل في قلوبهم!

أنّ عليّ أن أتوقّف عن إخبارهم بأنهم «بشر» لا أكثر! وأنّ عليهم أن يضعوا ساعاتهم على قلوبهم ليدركوا قصر الحياة وعدم جدواها!

ثمّة ما يخبرني أنّه عليّ أن أحكي للآخرين الحكاية التي زرعت في صدري شجرة تين.

أصلها ثابت ويستظلّ بها أصدقائي. شجرتي التي لا يسقط ثمرها إلا على الطيّبين، ولا يسكن أغصانها إلا الراحلون إلى الموت.

حكاية الصبيّة التي عبرتني ونسيت روحها البيضاء فيني، صديقة العمر الجميل التي لا تشبه أحداً من الناس، صديقتي الغاية في الطيبة، الغاية في الحزن، الغاية في الوحدة. صديقتي التي ماتت لأنها تخاف من الحياة!

عليّ أن أضع قلبي بين يدي غريب عابر وأتخلّى عنه! عليّ أن أعتاد الوحدة.. هكذا كان على كلّ شيء أن ينتهي.

لأنّ تشريني رحل، لأنّ نوفمبري لم يكن برداً وسلاماً على قلبي الـ هب، ولأنّ أعيادي كانت خالية منك!

عليّ أن أتخلّى عن التنفس لأنّ أحدهم لم يلمس يدي، لأنّ أصابعي كانت باردة عمراً بأكمله، لأنّ الموت يأكل أطرافي ويشتهيها لأنّ الحزن ثقيل، ولأنّ عليّ أن أتظاهر بأنّي حزينة أقلّ مما أشعر به!

لأنك مررتِ على روحي وغرستِ في قلبي تلك الشجرة الصغيرة، وأخبرتني أنّ الله سيلقي في قلبي الحنين لأولئك الذين ما عادوا هنا!

وأنّ عليّ أن لا أبكي! أنّ عليّ أن أنفخ روحي في رسائل طويلة أحكي لهم فيها كيف أنّ شكل الحياة بعدهم لم يعد مثل ما اعتدته، وأنّ الموت صار صديقي الذي ينام على صدري، كيف أنّهم يرحلون عمراً، ويعودون غرباء عنّا، غرباء لا يعنيهم أمرنا في النهاية!

كيف أنّ أحلامكِ تخصّكِ وحدك، وأنّ الفرح منوط بكِ أنت، وأنّ الحزن ثقيل حتّى على الطيّبين، وأنّ الأصدقاء ليسوا بالدفء الذي تظنّه قلوبنا!

كان عليّ أن أتجاهل صوت قلبي لمّا يئنّ، أن أكون تلك الفتاة الطيّبة التي لا تكف عن الابتسام،

أن تحتضن ظلّ الآخرين وتبكي في داخلها، أن تعتاد العابرين الغرباء عنها أكثر من روحها، أن تدرك جيداً أنها مختلفة عنهم!

وأنها ليّنة أكثر من أن تستقرّ في قلب أحدهم ما يكفي لتشعر بالأمان.

كان عليّ أن أعصر قلبي الصغير لأحكي لك حكاية الوجع فيني، حكاية الإنسان الذي علّمني كيف أكتب رسائل إلى أصدقائي ورحل، وصرت أكتب له رسائل أصدقائي كلّها

كان عليّ أن أنفخ من روحي في يدي، لتشعر بالدفء أكثر ولتكون «حيّة» أكثر، أن أتخلّى عن الحياة لأخبرك أنّك استثنائية، وأنّي مكسورة، وأنّي لا أحتمل خذلاناً آخر!

كان عليّ أن أكتب طويلاً، لأشعر بالغصّة تتكوّم في حلقي، لأشعر بأنّ شيئاً ما فيني يشعر بالموت أكثر من اللازم، بأنّ ظلّ الأصحاب ما عاد يكفيني!

وبأنّه ما عاد في الروح متّسع!

أن أحكي لك طويلاً ما يكفي لأزفر روحي في رسائلي، لأشعر بأنّ تلك الروح ما عادت هنا، لأعتاد على ما يشبه الموت، أن لا تتّسع رئتي لحديثي، أن أختنق وأشعر بلذّة احتضان الموت لمّا يكون أكثر وفاءاً، لأستظلّ بشجرة التين وأرحل إلى سمائك، لتمسك يدي وتدرك أنّي متّ وانتهى الأمر!

ولا تأس يا صاحبي إن توقّفت عن الكتابة إليك، عن إيذاء أصدقائي الطيّبين بحديثي. لا تحزن إن اعتدت الموت، أقلّه لن أخاف حينها!

أن أحلم بك. وأستيقظ وعلى فمي ابتسامة رائقة، ذلك لا يعني شيئاً أبداً! سوى أنك قبس من دهشة.

وأنّ قلبي نمت فيه شجرة خضراء تحمل اسمك، وأنّي أرغب في أن أستظلّ بك حدّ التعب.

أن أكتب لك رسائل طويلة لا نهاية لها. أن أقضم أحاديث القلب وأخبئها في صوتي علّ الإنسان فيني تلمسه يدك «التي كانت بيضاء في الحلم بالمناسبة».

ذلك يعني أنّ أحداً من الذين آلفهم لا يشبهك!

ذلك يعني أنّ صوتك الذي أغمض عيني وأنا أسمعه قد يكون شفاءاً، وأنّك قطعة من الجنّة.

وأنّ اليقين بك يكبر كـ بالون أزرق يرتفع بي عن الأرض، وأسمع صوتاً في الأعلى يخبرني: هي لن تخذلني!

أستلذّ بالبرد لمّا يتسلل إلى يدي، يدي التي تعلم يقيناً أنّ أحدهم يكترث بها. ويقلق إن بدت مرتجفة أو حزينة! أنّ أحدهم سيعصر الوجع فيها حتّى يختنق، حتّى أشعر أنّ يده تزرع لي رئة أخرى أو ربّما «حياة»

أستلذّ بصوتك الدافئ. قلقك المخبّأ، وحكاياتك التي لا تخبرينني بها لكنّي ألمسها في صوتك، في خيبتك، وفي قلبك الطيّب الذي يخشى على نفسه من الحياة نفسها.

كيف نخبر أحدهم بأننا نحبّه دون أن نقلق وحدته؟! دون أن نحمل لوناً أو طعماً أو رائحة؟! دون أن نتخلّى عن قدرتنا على سدّ ظمئه؟!

كيف نجعل أحدهم بخير دون أن نكون مرئيين؟! دون أن نكون «إنساناً» يعبرهم؟!

كيف نكون يداً تحمينا من أنفسنا؟! من خيبة أنّ نحبّ الآخرين؟! من وجع أن نشعر بالقلق والخيبة؟!

من خذلان أن ترتجف أيدينا في ليل طويل لا يعبره صديق ولا ينتهي بـ فجر!

وكفى!

كان من المخيّب فعلاً أن تتوقّف الحياة بي عند هذا الحدّ، أن تكون جميلة وكفى! لكن ليس أكثر جمالاً

أن أعتاد الأشياء الصغيرة اللذيذة، أعتاد غيابك، وأعتاد حتّى الوجع. على أنسى أيّ قلب هو الذي جعلني أبكي، حتّى أظنّ لفرط الخدر في القلب أنّه ما عاد في صدري! وأنّ روحي خاوية وفارغة إلا من ضباب بارد يلمس جوفي المجروح ويوجعني، ذلك الوجع الذي تستلذّه إنسانيّتنا.

أن أظنّ أنّ شيئاً لن يصبح غريباً عني، وكأنّي شجرة تعبرها الأشياء والفصول والمارّة، تتواطأ مع الحياة على أن لا تنغرس في قلبها عميقاً على أن تسمعها أغنيات الكنار الصباحيّة، على أن لا تحرمها المطر، على أن يستظلّ أصدقاؤها بظلّها

أن أشعر بالمرض في قلبي لمّا تحكين لي بصوتك العميق عن أنّي لا أزال صغيرة جداً على اعتياد الحياة بهذا الشكل البائس، عن أنّي أشعرك بالوهن، وعن أنّي لا أعرف كيف يكون شكل الإنسان المثقل بالموت والخيبات، كيف يكون شكل الإنسان في «إنسانيّته»! عن أنّي قد لا أليق بك، وبأنّي «موجعة»!

محبط .   أن تشعل أغنية في قلبك وتنطفئ!

أن تشعر بالنشوة فيها، ولمّا تنسكب في أذنك بعد عمر   تنسى تماماً أين كانت اللذّة!

وأخرى تحبّونها

أريدك أن تعود لتخبرني كيف يمكنني أن أعبر الأعياد كبقيّة البشر؟!

أن أكون استثنائية جداً لـ تقبّلني فجر العيد وترفعني عن الأرض خطوة، خطوة واحدة صغيرة.

تبدو هي الحدّ الفاصل بين البشريّة والملائكية.

بين أن تكون حياً وأن تكون «غاية في الحياة»

وأن أكون عيدك، فجرك، وأخرى تحبّونها

أريدك أن تخذلني مرّة أخرى لأعود قادرة على تذكّر شكل الموت لمّا عبرني من خلالك، على التلذذ بالأعياد كـ فرح مؤجل لحينها

أريد أن أجرّب الحياة كما هي دون أن تكون أنت لي! دون أن تدسّ لي الفيروز في صباحاتي، دون أن تردد في أذني الأغنيات اللذيذة، دون أن تمرّر يدك على شعري الطويل، على أصابعي الباردة، على قلبي المترف بك المترف بك جداً!

لمّا عرفت أنّ الدوخة هي الحبّ، وأنّ الشعور بالمرض هو الحنين لوطنك لا أكثر! وطنك الذي يختصر في لون البندق في عيني أحدهم،

في صوته المثقل بالفتنة الحزينة، في يديه التي تدرك تماما كيف تضـ
قلبك الحزين بين أصابعها فتشعر بالشفاء.

كنت أعبر عمراً آخر شبه حيّة، أتنفّسك برئة واحدة. وكنت تعود لي
أطيافاً لا أكثر، حتّى بدا الخطّ الفاصل بين الأصدقاء الحقيقيين والأيدي
المتخيّلة التي تعانق يدي رفيعاً حدّ يقيني بالبشر

لمّا كان يوجعني العابرون كان وجهك يعود إليّ في كلّ مرّة، في كل
أرق، في كلّ بكاء مخبّأ عن أعينهم، في كلّ يتم يوجع قلبي الصغير
وفي كلّ عيد يبدو صباحه متورّطاً بحضورك أو بغيابك حدّ الدهشة!

لأنّك لمّا رحلت ثقبت ذاكرتي معك، ونسيت كيف كان شكل الإنسان
فيني من قبلك!

بدا العطب في قلبي عميقاً للدرجة التي أشعر فيها بالبكاء فقط لأن
أحدهم مرّر يده على وجعي! فقط لأنّ أحدهم كان أكثر إنسانيّة.

تخيّل أن أكون متورّطة بالحزن أكثر منك، أن تعود إليّ روحي، أن أبدأ
بالتنفس برئتين كبقيّة البشر

أن أكف عن كوني استثنائية، عن كوني حلوة نوفمبر، عن كوني عيدك
الذي لا يشبهه أحد! ولا يفهم فتنته أحد!

وتخذلني الروح. لتكون كلّ الأشياء المحاطة بالفرح موتاً، ويكون
كلّ الناس «أنت»!

ولي فيك مآرب أخرى،

وعدك أن تنمو في أصابعي العشرة، أن تكون ذاكرتي، أن أشعر بيدك
تمس قلبي عمراً، أن لا أشعر يوماً بالوحدة ولا بزيف الأعياد.
لم يكن أكثر من وعد إنسانيّ غضّ يظلله نشوة العثور على البشر
استثنائيين.

أنت الذي تدرك جيداً معنى أن تشعر بالفرح دون أن تفرح، أن ترى
نهاية الشعور، أن ترقّع بإنسانيّتك للحدّ الذي تصبح فيه صديق الحزن
الوفي.

أنت الذي زرعت في قلبي عيداً واحداً كألف سنة مما يعدّون، وصوتاً
مثقلاً بالخيبة لا يشابهه أيّ صوت!

أنت الذي أخذك الموت قبلي. لأدرك بمرارة أنّي «إنسان» لا أكثر!
بخمس حواسّ وعشرة أصابع، وقلب واحد مريض بك!

لأدعو الله طويلاً أن ينبت لي قلب آخر أقلّ عطباً من الذي في صدري،
أن يخلق فيني شكلاً آخر للإنسانيّة أتنفس بك من خلاله، شكلاً آخر
للإدراك..

لأكون قادرة تماماً على الحياة بك بعد أن لا أكون حيّة!

لو أنّك تعلم الغصّة التي تخلق في حلق الوفاء لمّا أغني أغنياتك، لـ أنّك ترى ذاكرتي لمّا أمرض بك، لمّا يتخلّى عنّي كلّ شيء، وأقف بذاكرة خالية من البشر إلاّك. حتّى إنّي أظنّ أنّ الذاكرة لـ فرط مـ تشربك صارت ذاكرتك أكثر منها ذاكرتي!

لو أنّك تعلم أنّ صوتك فتنة لا تنتهي، ولذّة لا تموت، وأنّ حديثك الطويل الليّن الوفيّ هو عكّازي الذي اتكئ عليه، وأواري به سوأة قلبي، ولي فيه مآرب أخرى.

لو أنّك تعلم أنّ البشر من بعدك ماّ عادوا بشراً! أنّي ما عدت آلفهم، أنّهم ما عادوا أصدقائي، وأنّ لا أحد منهم يشبهك، لا أحد منهم يزرع الرضا على صباح قلبي، ولا أحد منهم أنت!

لا أحد يتجاوز الجمال في عيني إلى البكاء المخبأ!

لا أحد يلمس يدي ويتحسس الوحدة، لا أحد يراك فيني!

لا أحد يشعر بالدوخة التي تصاب بها ذاكرتي لمّا أقف بينهم!

وتخذلني كلّ الأشياء من بعدك!

يا حلوة نوفمبر

أن تتجرّد من كونك إنساناً لتكون «قلباً» لا أكثر، ذلك يعني أنّ صوت لهمك سيكون الأغنية الوحيدة التي تسمعها حتّى تموت!

ذلك يعني أن تلمس يدك الأخرى، أن تنتفض لمّا تدرك مدى سابئك، أن تشعر بالخدر في أصابعك، أن تشعر بالحنين المرّ إلى يدك الدافئة التي تحفظ شكل تعرّجاتها جيّداً. يدك التي لم تعد موجودة في قلبك! يدك التي وإن أصبت بالعمى أو امتدّت إليك آلاف الأيدي ستظلّ يدك أنت! وسيكون لمرورها على قلبك طعم مختلف. لأنّك تدرك جيداً أنّ تلك الأصابع العشرة متورّطة بك تماماً، للحدّ الذي لن تتخلى عنك فيه!

استشعر أن تسمع صوتك بقلبك، أن تحنّ إليه، أن تكون أنت في عين أحدهم، أن يخبرك أصدقاوك بالأشياء التي تريد قولها تماماً. أن يخبرك كلّ أصدقاءك بالحديث الليّن نفسه. أن تشعر بالخواء إلا من ذلك الغريب الذي يأوي إليك في كلّ ليلة، أن يتسلل البرد إلى قلبك في أرقك الطويل، لتدرك أنّ البرد لا ينام، وأنّك لن تشعر بالدفء حين يرحل تشرينك!

الأشياء الصغيرة تلقي بي في نوفمبر، وأشعر بالدوّار.

كيف سيكون شكل الإنسان الذي سيخرجني من وحدتي؟! الذي سيجعلني إنسانة كاملة، بقلب حيّ وصوت جميل ويدين دافئتين وذاكرة؟!

كيف يكون صوتك لمّا يمسح على قلبي كلّ ليلة أشبه بـ عشر أصابع؟!

كيف تكون تعرّجات يدك عميقة كـ صوت إنسانيّ مليء بالصدق؟!

أين ستكونين في عيدي؟!

أكثر موتاً!

كان عليّ أن أتنبأ به كثيراً، لأدرك أنه ما كان حلماً سيئاً أغادره بـ شهقة
بعث في الصباح الذي سيبدو لي غير مؤذٍ تماماً، يغنّي لي فيه عصفور
س، ويدفعني لارتكاب الحياة دون أن أشعر بتكلّف ذلك، بثقله!

أنت الذي أخبرتني أنّ الفرح يحتاج منّا الكثير! وأنّه سينزلق من يدي إن
كنت وحيدة. ذلك أنّه يجدر بنا اقتسامه مع الآخرين الآخرين الذين
يبدو لائقاً أكثر بهم على أية حال.

أنت الذي لا يدرك عطبك أحد. لا يعي كلّ الذين حولك معنى أن
تسمع صوت الموت في أذنك، أن يخبرك أنّه موجوع، وأنّه مليء
بالحب لأصدقائك!

أستيقظ منك بقلب مفزوع، بقلب «حيّ» أكثر من اللازم

عليك يا صاحبي أن تكون أكثر حزناً من الموت، أكثر لؤماً لتقدر
على تنفس الصباح الذي يرحلون فيه، لئلا تقع في فخّ الدهشة بما
يفترض أنها «حياة»!

الصباحات التي يعتريها الموت ثقيلة! ولا شيء يغدو بإمكانه أن يحيل
صباحك أزرق بلون الفيروز

لفرط ما يعبرنا الموت. يغدو الأحياء في النهاية هم الأكثر ضعفاً هم الأدعى بالشفقة عليهم، هم الذين تكسّرت ذاكرتهم. لأنني بعد كا هذا الموت فقدت أصدقائي، فقدت الوجوه الطيّبة، فقدت أشيائي العزيزة، فقدت روحي وصار قلبي فارغاً إلا من رحمة الله، ومن الذين يتعلّق قلبي بطرفهم، ولن يعني رحيلهم إلا أن أفقد الحياة بكلّ أشكالها، ولن أقدر على استعادتها!

يثقلني الموت. أن أتظاهر بالحياة، أن أتآكل من الداخل لأنّي شعرت بلذّة العيش، أن أبتسم ثمّ لا أعود قادرة على ذلك مرّة أخرى!

أن تتمنّى أن تتخلّى عن الهواء في رئتيك لتضع نبض قلبك في الموت الذي يسكنني، لا يعني شيئاً سوى أنّي سأكون أكثر موتاً من دونك. يعني سوى أنّ الحياة ستكون أكثر وجعاً، وأنّ قلبي سيعتصر موتين!

شكراً للموت، لأنّه في كلّ مرّة يعبر أشمّ معه رائحتك، وكأنّك عدت لي «أو بعضك»!

أعطني الناي وغنّي*

الصوت الذي يخرج من فم الصباح، الذي يشبه ألف عصفورٍ وهمهمة. هو الصوت الذي سيأخذ بيدك إلى الجنّة!

لأحكي عنك بعد كلّ هذه الأغنيات المترفة التي تملأ ذاكرتي، كان لا بدّ من إلى أوصد باب حزني تماماً، أن أواري سوأة حنيني، وأن أودع كلّ حديثك العذب في الذاكرة. إذ لا شيء يزرع الفرح الأخضر في قلبي إلا صوتك.

لأنك تدركين جيداً أنّه يملك القدرة على ردم الحزن في قلبي. كنتُ صغيرة، وكنتِ تحكين لي أغنياتك. لأكبر وأنا مفتونة بصوتك، لأدرك أن بإمكان «العابرين» أن يكونوا أصدقاء غاية في الطيبة.

أنتِ الصديقة التي تعجن لها ألف يد، ليشعر الذي تحبّهم بالأمان بين يدي إنسانيّتها.

أنتِ التي يزهر قلبي لمّا تبتسمين، ويغفو الطفل فيني حين أسمع صوتك الملائكيّ يحكي لي أغنياته.

أنتِ حضور الذاكرة الاستثنائي في الفرح والأعياد ونشوة الصباحات الممطرة، في الحنين وبكاء الشعور، في شكل الإنسان الأعذب، الأقرب للسماء..

حضورك في الذاكرة لا يمحى، والدهشة بك لا تنتهي. للحدّ الـ
أغرق فيه بصوتك في كلّ مرّة، كأنّني أتحسّس لذّة الحزن الإنسا
الليّن.

المقرف في إنسانيّتي أنّه لا يمكنني أن أخبئ ما أشعر به ولا يمك
تأجيله!

والشعور بك، حضورك المربك في ذاكرتي يجعلني أسير بقدمٍ واح
على صوتك، أترنّح، أشعر بالدوخة، وأسقط تماماً في دهشة تلك الـ
التي لا تشبه شيئاً آخر

هل يمكن لفتنتي بذلك الصوت أن تتعاظم أكثر من ذلك؟!

أكثر من الرقص عليه، والجوع له، والبكاء عليه، والشعور بأنّه
الشكل الوحيد للحبّ؟!

عمري مليء بأغنياتك التي تسلّلت إلى قلبي لتزرع لي شجرة تزهر حـ
في تشرين، شجرة أتكئ عليها، أصعد بها إلى الغيم، ولي فيها مآر
أخرى..

من نور.

لمّة ما ينبؤني بأنّي الآن أقرب إليك من أيّ وقت مضى، وتلك النبؤة يجعلني أبتسم.

أصدقائي الذين عادوا، تشريني الأصفر، أصابعي الباردة، وتلك المطوعة التي تغمس قلبي لذّة في المواعيد الخارجة عن العادة. في الشجر الأخضر، في الوردة البنفسجيّة النابتة في قلبي لك، في رائحة القهوة، في سوادها، في بياض الأشياء العظيمة، في العالم الذي يضعنا معاً في طرفه. وينسانا!

الحنين الذي أحمله تجاهك بحجم غيمة. أنت الذي لم تخذلني، ولم يوجعني منكَ إلا موتك!

أنت الذي «رغم كلّ هذه السماوات التي بيننا» لا أزال قادرة على الحديث إليك، على سماع صوتك، على لمس يديك، على أن أتكوّر وأتكئ على كتفك وأخبرك أنّ أصدقائي يرحلون، وبأنّ الموت عبر أمامي، وبأنّي يتيمة، وبأنّي أسمع موسيقى في رأسي حين أغيب عن العالم!

أنتَ الذي رحلت، ولم أخبر أحدهم عنكَ يوماً!

أصدقاءنا، ونخبّئ فيه خذلاننا الصغير، ونضع أيدينا عليه لنخبّئ عطبه وانكساراته. إلا أنّني لا أستطيع أن أحتضن قلبي، أن ألمسه، أو أعانقه وأقبّله!

أنتَ الساكن في روحي، الحاضر في الوجع والغربة والأعياد والموت.

أنتَ الوحيد الذي يدرك شكل اليتم، ويدرك شكل الوحدة، شكل الضعف، ومعنى أن تمطر السماء دموع أمّك!

معنى أن تشتهي الجنّة، أن تمتلئ رئتك بحديث طويل مرتبك، ولما يؤرّقك الحديث الجاثم في صدرك، يأتي الصباح متأخراً جداً، ككل الأشياء التي كنت تنتظرها في عمرك.

أن تقف على أطراف قدميك، تطرق أبوابهم بإيمان عميق، ولما تتجرّح مفاصل يدك. تدرك متأخراً أنّ ما خلف الباب هو موتٌ لا أكثر! ليجيبك متأخراً، ليعبرك كثيراً وينتزع منك أصدقاءك وأهلك. وذلك الطفل الأسمر الذي كان صديقك، الذي كنت تحبّ صوته حين يغنّي.

أن تكون إنساناً، ذلك يعني أن تكون خيبة، وأن تنبض كثيراً حتى يشعر الإنسان فيك بالتعب!

«حياة»*

كنتُ أصدّق صوتك في الحلم. بأنّي سأنسى شكل الموت، وأنّ الملك العطب في قلبي سيصلحه كلّ أولئك الأحياء!

كنت أظنّ بأنّه سيعبرنا إلى غيرنا، وستتكفّل إنسانيّتنا بأن تعتاد شكل الحياة الآخر، وستكون الحياة «حياة» لا أكثر إلا أنّ وجهك الصغير يلحّ على ذاكرتي، وصوتك الغضّ يعبر رأسي بين أحاديثهم الصاخبة. أسمعك وكأنّك تحكي لي حكاية طويلة، وأدعو الله أن تكون حكاياتك عن الجنّة.

أريد أن أستيقظ من هذا الحلم السيء الطويل، أريد أن يتوقّف الوجع الذي يأكل قلبي، أن تعود كلّ الأشياء «بخير» كما كنت أذكرها.

أريد أن أثقب ذاكرتي الحادّة!

أريد أن أمرّر يدي على غيمة بيضاء لتخبرني عنك: هل شعرت بالخوف يومها؟!

انتِ كلّ أصدقائي*

أحلم بأكتوبر،

أحلم بأنّي أطوّق يدك الحميمة بإسوارة فضيّة صغيرة.

أحلم بأنّكِ تبتسمين، وبأنّي أرى ما يبدو تماماً كالفرح على طرف شفتيك، وأنّك قلت بعد كلّ شيء: أنتِ كلّ أصدقائي!

لينبت لي ما يشبه الجناحان، ليكون تشريني هو الأجمل، والعمر الأجمل، وكلّ أصدقائي..

شو بيشبهك تشرين

أنا أحملك دوماً في قلبي، وأشعر بالثقل. مع إنّ هذا الغياب الذي للترفينه!

أشعر بالأسى حين أكتب لك رسائل غريبة مع الن، ولأوّل مرّة أشعر بأنّي غريبة عن نفسي، بأنّي لست كائناً من طين! أعرف، من صباح ربما. أو ربّما من أرق!

لأنه لمّا رأيت هذا الصباح وجهاً آلفه، أخذني نّ العالم إلى قلبك، كأنّ شيئاً عاد من حياة ظننتها ماتت لفرط ما ابتعدتنّي!

لمّا يدرك العالم أنّ أحدهم تركك بنصف قب، وتسير أمامهم معطوباً، ستشعر حتماً بالدوخة، وبأنّ وجهك يحل ملامح أصدقائك أكثر منك.

لمّا تخذلك حواسك أجمع، وتجرّك إلى قلب صفيّ ميّت، يحدث أنّ كلّ الأشياء تتحوّل لك، ويصير كلّ ما حولي ضباباً صواتاً لا معنى لها!

الشيء الذي تكوّم في حلقي كان أشبه برجاء طفو يتيم أن يأتيني منك أيّ شيء!

أنا لا أستطيع أن أخبرك أنّي أستحضرك كثيراً «أ. من اللازم ربّما»،

أنّي أحتاج لكتفك، أنّك لمّا تكونين حاضرة معي يصبح ثمّة ما يدعو لأن
أشعر بالراحة.

من المرارة أن أقع وإيّاك تحت نفس الغيمة، وأن أتضخم لأسعك، لتريني كما تحبّين، لأليق بك، لأكون مطراً. وأن تتضائلي مبتعدة عنّي بلا معنى!

من المرارة أن أنفجر بعد ذلك، وتقتربين برعب حاملةً الدفء القديم ذاته، الصوت والكلمات ذاتها، أن تدلليني قليلاً وتعتني بي وينتهي كل شيء قبل أن أزفر الموت من رئتي.

أعيادك أقرب إليّ منك!

الدوخة هي الحبّ.

نقضم أظافرها بعد كلّ نصّ ينتهي بها إلى عينيه اللوزيّتين. هي المغيبة تماماً في عالمه، تتظاهر في حياتها بحياة اعتياديّة جداً! متناسية أنّ استحضاره من الغياب مرهق، وأن تغييب العالم كأشباح عندما يكون حاضراً ضرب من الجنون.

هي التي تخلق لنفسها من أشيائه جناحان صغيران بلون النور، ترتفع خطوة عن الأرض، وتمتلئ سعادة لأنّ ثمة من يعتني بقلبها جيّداً

هي التي تدسّ قلبها كلّ ليلة في يديه، في عنقه وفي لون شعره، في ليرا صوته الفيروزية وقلبه الطيّب. وتظنّ أنّ الحياة ستكون بخير، لأنّ حبّها أشبه بالنور، بالأغنيات، أشبه بالنوارس وباللون الأزرق.

لشبهه، تخبره كلّ ليلة عن الحياة وتخبر الحياة عن بعضه، هو الذي يستحيل اختزاله في حديث واحد «مهما طال»! ليفاجئها الأرق وينفضها الصباح قبل أن تنهي تشذيب صوتها!

يفضحها جوعها للنوم، أظافرها المتآكلة، ابتسامتها الشقيّة، وتلك النظرة الطويلة في عينيها التي تخبره أنّه استثنائيّ! عصيّ على الحضور والنسيان والكتابة، وأنّ ظلاله هو ما يجعلها أنثى، ومراسم استحضار

اللوز في عينيه كلّ حنين هو ما يجعل إنسانيّتها ترضيها، تخبره أنـ
صديقها الطيّب الذي يجعلها تحتمل هذا العالم المضجر، أنه روحها
الذي ما كانت لولاه!

تعلّق عينيها في لوزه، كاعتراف مبطّن لـ نفسها بالحبّ لتشعر بالرضى
ليثمر اللوز في قلبها، ليبتسم هو نصف ابتسامة، لتستلذّ بدوختها الغيـ
مبررة! بالصوت الذي يغنّي في قلبها.

تلك الصبيّة لما استيقظت من غيبوبة الكتابة عنه / له. وجدت
أصابعها العشرة ناقصة، وجدت نفسها فاقدة صوتها! وجدت النوارس
تسكن شبّاكها وتغنّي..

i s t

ارتعاشة الحديث لأشخاص غرباء عنّا تسكن أصابعي، كأنّك لست الإنسان الذي آلفه! كأنّ أشياء النور التي تخطر في بالي غدت مختلفة / غريبة لـ درجة أندم فيها على الحديث لك بكلماتنا، كأنّ الوطن تخلّى عني، وكأنّ الحياة ما عادت هي الحياة التي نعرفها!

صوت تلك الصبيّة التي تغنّي أخذني إلى عينيك البنّيتين في زاوية الكون، لتملأ حواسّي بنظرة تخبرني بلغة أخرى أنّك تدرك شكل الشعور، وبأنّك ترى وتسمع صوت اليتم في داخلي.

كان عليّ أن أحفظ جيّداً ذلك اللحن الرائق، أن أتوقّف عن الشعور بأنّك ترى عطبي، أن أترك ذاكرتي تمارس إسقاطاتها العبثيّة معك أنت بالذات، أن أتوقف عن الارتجاف، عن الدوخة، عن الرغبة السريّة في البكاء.

ليأخذ حديثي إليك «ككلّ مرة» شكلاً آخر غير الذي كان يتشكّل في رأسي لما كنت أسير في ممر طويل في هذا العالم المرهق، ويواتيني الوهم المجنون نفسه كلّ مرة، أنّ كلّ أولئك الذين يعبرون الحياة يعبرونها في الاتجاه الآخر، وبأنّك أنت الوحيد القادر على رؤيتي، على سماع صوتي، على الطبطبة على الإنسان فيني لا أكثر

لأعجن لك «في كلّ حديث طويل لروحك» وجوه أصدقائي الذي عبرت من خلال أرواحهم الغريبة عني، الذين شعرت بهم أشبه بضباب، الذين أخبرتهم في سرّي أنّهم ما عادوا أصدقائي، لا لشيء إلا لأ الوحدة أقلّ مرارة من الخيبة!

الوهم. أنّك وحدك «بكل ضبابيتك ورحيلك وموتك» أحد تلك الأحلام التي لا تتكرر بالجمال نفسه، أحد الأشياء الصغيرة التي تمنح اليقين المحض، والقدرة على أن نكون بشراً، والصوت المألوف الذ يخلق في قلوبنا ابتسامة لا معنى لها، الذي تظنّ «الفرط عمقه» أنه يخبرك حكايا أولئك الأصدقاء، أنّه كان يقصّ عليك ما يراه من ناف الدنيا.

أن تتوقّف تلك الصبيّة عن الغناء. ذلك يعني أنّك وهم لا أكثر، الأوطان لا تفتقد الغرباء بالضرورة، أنك أنت «من بين كلّ الذي أعرفهم» تراني شفّافة كما أنا، وأنّ الإنسان فيني لا يسمع صوته أحد، ولا يدرك أمنياته أحد!

* اسطنبول..

أعيا   د

لمّا تجاوزني الشعور، وتمّدد على قلوبنا كغيمة رماديّة ثقيلة، لم يكن أحدنا ليتذكّر وجه الفرح!

ذلك أنّ الفرح ساذج، عصيّ على الحضور، وإن حضر فإنّه لا يكتمل!

نحن كـ بشر   لا نألف الملامح المكتملة للشعور، لا نألف وجه أحزاننا ولا نتذكّر ملامح الفرح! يؤذينا اقتراب الأشياء السيئة منا، ويؤذي إنسانيتنا ابتعادها!

ولمّا كان شكل الإنسان فينا ينسى دوماً كيف كانت حياته في حياة أخرى، ولمّا كان التصاق قلب بـ آخر راحل أشبه بضرب من الجنون! كان الرحيل أشبه ما يكون بأن أضع ذاكرتي الحادّة في أحد أدراجي وارحل، أن أدّعي أنّ عمرهم القادم سيكون جميلاً، دون أن أكون شاهدة على عثرات الفرح في أعينهم.

أن أرحل   ذلك يعني أنّي أشبه الموت، وأخافه، وأشتهيه!

ذلك يعني أن أغيب عن ذاكرة الفرح، عن أصوات أصدقائي وتفاصيلهم، عن الأعياد، عنك!

أن أتخلّى عن شكل الوطن الذي اعتدته، أن أصدّق الصوت الذي يـ
رأسي ويخبرني أنّ العالم الذي أعرفه انهار! وأنّ عليّ أن أتكيّف مع شكـ
الحياة الجديد المؤذي.

أنّ عليّ أن أرحل قبل الآخرين، أن أهرب من الفجائع وإن عنى ذلـ
أن أحشر جسدي في مقعد مغادر لـ وطن لا يعرف ملامحي ولا لـ
عينيّ، وطن لا يدرك أنّ الموت عبرني كثيراً حتى نسيت شكل العيـ
المحض!

هو حين يلتقطهم، حين يجعلهم مكسورين، حين يعبرهم، حين يحلـ
فيهم البكاء والأرق والخوف. هو يضخم شعوري بالغصّة ويهمس
أذني: هذه الدنيا ليست مكاناً للفرح!

فيك شفاء*

في قلبي لك حديث ليّن وموجع وطويل.

حديث يأبى أن يكتمل! يحمله لك الفرح المؤجل، وأخبرك فيه أني نسيت بعدك كيف كان شكل الإنسان فيني!

أن يهاود الحنين فيني الفرح أن يحضرك من الغياب، أن أزرع اليقين في أصابعي العشرة. أنك ستمرّ من هنا، أن أتصوّر أن الأعياد ستعود بك. معناه أنّي أشعر بالفقر في غيابك!

قطع النور تتساقط من بين أيدينا، وكأنّ تلك الحياة التي ألفناها غدت مظلمة، والأشياء التي اعتدنا عليها أصبحت لا تُرى! وأصبح الهمس في أذنك أصعب مما أقدر! فـ بيني وبينك كلّ الذين أعرف والذين لا أعرف! وكلّ أولئك الذين أحبّ والذين أكره، فكيف أصلك؟!

أنا أخاف إن حدثتك بكلّ ما سيكون ذلك الصباح أن لا تكون قد مررت فيني في حياة، أن تكون كأحد أولئك الآباء المتخيّلين الذين يقسم الأيتام أنّهم يشتمّون رائحتهم، أحد الأصدقاء الأوفياء الذين تترك أيديهم في قلوبنا نوراً..

ذلك أنّ الحياة التي كانت مليئة بك كانت قصيرة وبعيدة! وأنّ أصدقائي في تلك الحياة رحلوا إلا أنت.

وأنا متّ بعدها ألف مرة، أدركت حيوات أخرى كثيرة، وفي كلّ تعود إلي وجوه أكاد أميزها من حيث لا أدري! إلا وجهك وحده يعود! شكل فمك وعينيك وملامحك أصبحت أشبه بضباب يصيب بالحيرة، ولفرط ما بكى الفرح أمامي صرت أخالك شيئاً من الأعياد لا أكثر! يد خفيّة تلمس يدي كلّ عيد لتخبرني: أني وطن

الكتابة إليك تغدو أكثر إيلاماً في كلّ مرة، وكأنّ الأعياد دون رسائل الطويلة إلى صاحبي الذي أظنّه متخيّلاً ليست سوى فرح، الفرح يأخذ منّا الكثير، ولا يمنحنا إلا انحناءة زائفة على شفاهنا!

الكتابة إليك تعني أنّي لا زلت وطنك، تعني أنّ الحياة التي جاءت لم تكن متخيّلة، تعني أنّ أصابعي العشرة ستكون باردة هذا العيد أيد وأنّك ستمرّ من خلالها، أنّ قطعة عيد بحجم السكّر ستنبت في ق وإن كنت راحلة

لعلّ هذا الحديث يشفي!

قبل أوانه،

الحديث المخبأ على طرف قلبي يتكوّن كـ فقايرة، تزداد هشاشة ولينا كلّما اقتربت منك خطوة.

واخشى أن أخبرك بالحديث المخبأ في قلبي، ، أن تنفجر فقاعتي ناطير، أو أقع فتلمسني كلّ تلك الأيدي الغريبة ء

تلك الفقاعة تكبر في قلبي، تدفعه إلى الجهنـ‌ى، ليبدو الوجع في الشقّ الأيسر لا معنى له! سوى أني اعتدت بي كان هنا عمراً مضى، سوى أنّي اعتدتك، اعتدتك لا أكثر، 'رغم كلّ هذا الرحيل' لا زلت مريضة بك!

الأشياء التي نظنّ أنها قد تجلب لنا السعادة قد ، .

أنا وأنت، وحدنا نعلم أنّ الأشياء االجميلة في العالم لا تكتمل، وانّ الأعياد تأتينا مبتورة، وأنّ الفرح يحتاج منّا لـ

أنت الذي «رغم كلّ هذا الغياب» لم ترحل!

أنت الذي كنت قريباً كوطن، ضبابياً كـ أشبه بالأشياء المؤجلة، بالوطن الموعودين به، بالمنفى، بالر

لـ فرط غيابك ما عدت أعلم إن كان الموت أقرب ن حبل الوريد!

ما عدت أعلم إن كانت رائحة الموت على وسادتي كابوساً أم أنّه من هنا والتقطهم!

أنت بعيد، وأنا سأغيب عن الأشياء التي اعتدتها، سأغيب عن الأعياد عن الوطن، وعن الأصدقاء.

وأعدك.. لأننا نشبه بعضنا كثيراً، بأن يكون ذلك الصباح كألف مما يعدّون..

أيهما أقرب.

لأني كنت مغيّبة عن الحياة حين أتى، كان امتداد يده مختلفاً تماماً عنّ كل تلك الايدي التي لامستني!

كأنّه لا يكتفي بـ روحٍ واحدة! كأنه ينزع قطعاً هائلة من أرواحنا معه ويرحل، يدع لنا جداراً رهيفاً من القلب، نتكئ عليه في ظلّ الحياة أو الموت «أيهما أقرب»!

كيف يمكن للأشياء، والأصوات، والأوجه أن تتحالف لتدفعنا إلى البكاء لهذه الدرجة؟! أن يتآمر كلّ ما حولك بخبث لـ إفراغ قلبك إلا من الحزن!

كيف تنظر لك نظرة تخبرك بأنه ليس من حقك أن تنام جيداً، ولا أن تبعد عنك تلك اليد التي تعتصر قلبك، ولا أن تزيل المرارة العالقة في حلقك، ولا أن تتعثر بمواسم فرح ولا أن تلقي بهم في «حياة»!

كيف تغدو إنسانيتك هشّة لهذه الدرجة؟! حين تشكك في الحياة التي تقع بين موتين! فيما لو كنت قادراً على حياة، على القيام بأشيائك الصغيرة التي تشعرك بالأمان

كيف تكون إنساناً دون هذا الكمّ الهائل من الخواء في روحك؟!

كيف تكون حياً رغم كلّ هذا الموت؟!

لا يصبح للحديث معنى أمام الموت!

كأنك تهاود العمر بـ كومة أحرف، بـ أرق لا نهاية له، بغصّة كبي تعجز عن ابتلاعها، وتعجز عن إخراجها لهذا العالم الذي يعبر أمامك وكأنك خفيّ! كأنّ قلبك لا يصدر صوتاً، كأنّك «ميّت»!

تفاصيل الغياب تصبح ضباباً! ويخبرك قلبك. احتياج آخر وستفقد القدرة على الرؤية! ستبيض عيناك من الحزن! ستضعك الحياة في مفتر طرق مقزّز. أنت لا تستطيع الموت، وهم لن يعودوا إلى الحياة!

أنت لا تملك إلا الحزن، إلا أنّ حزناً آخر سيغسل قلبك من كلّ شي وسيجعل ذاكرتك ضبابية، فارغة إلا من قطع غيم لا تذكرك رائحة بشيء بعد الآن!

لـ تدرك، أنّ الموت لم يأخذ روحاً واحدة! بل أنه سلبك إياه، وسلب ذاكرتك، وسلبك حقك الإنسانيّ البسيط في أن تشعر بالحزن وتس بالبكاء المحبّ!

ولما يرحل إلينا وطن الأمنيات، سأخبره أنّي أريد لهذا العالم يصمت!

أني أريده أن يلفّ على قلوبهم ثلجاً أبيض، أن يزرع فيهم حيوا صغيرة تلقي في قلوبهم الفرح، أن يتعثّروا بـ جنّة. أن أتخلى الأشياء الصغيرة التي تنبض في قلبي، ليكونوا بخير .

٦

إلى روح . ـــه ،

وحين تكون الحياة حياةً أكثر مما يجب، علينا أن ندرك أن نبؤة الموت
ـا، علينا أن نمزّق رئاتنا لـ نشتمّ رائحته، لـ نمدّ أيدينا بقلق لكلّ الذين
ـبهم.

وحين يكون الموت غريباً بما يكفي، كان عليه أن يعانق أطيبهم،
اجملهم، وأكثرهم صدقاً.

يكون الموت حين تشعر بأن حبلاً يُشدّ على رئتك، حين تشعر بأنك
ـعز عن الحركة، وكأن بحراً مالحاً يغمرك حتى قلبك المثقل بالحَزَن،
يكون الموت حين لا يكون للحياة معنى! وحين نرى الضرّ قد مسّ
أرواحنا!

لأنّ الحبّ يخلق في عينيك ماءً يعطش، لأن قلبك ينغمس في ذات
الوجع، وذات الغصّة، لأنك حين يحلّ الظلام تتكوّر على نفسك وتتآكل
روحك لفرط الوحشة! لفرط العجز بأن تكون يدك التي تمررها على
أنصاف قلوبهم برداً وسلاماً، لأنّك تخجل أن تخبر الله بأنك تشعر
بالخوف كثيراً، وبأنهم حزانى، لأنّ صوت الصلاة يجعل قلبك ينتفض،
ويجعل البكاء ينحدر على قلبك المكلوم. أنت فقط تنظر إلى السماء،

وتدرك أنّ الله وحده هو القادر على نفخ الأشياء الجميلة في أرواحه. هو وحده القادر على خلق الحياة من الموت!

ذلك بأن عينيها السابحة في فراغ تخلق فيني حزنها هائلاً، ذلك في كلّ مرة أحتضنها أدعو الله أن ينزع الحزن من قلبها ويغرسه في قلب، أن ينزع الحياة مني ويزرعها في قلبه. أن تحدث رحمة إلهية تجه بخير، ذلك بأني كنت أبكي وأصابعي في شعرها وهي تشهق ح... وطمعاً، ذلك بأنّنا ذلك الجسد الذي يتداعى، ذلك بأنها لا تستحق الأشياء الطيبة، والأصدقاء الطيبين، ذلك بأنّ الفرح تفجّر في قلبي لمعت عيناها بـ حياة صغيرة، بعيدة عن العمر الذي جعلها تشـ بالخوف وبأنها حزينة أكثر مما يجب!

كان ذلك الحزن في عينيها، وذلك البكاء المكلوم الذي يمتزج بـ د... يتنزّل على تلك الأرواح الضعيفة. كان كلّ ذلك الرجاء، والخو والفقد والوحدة المرّة. يغرس أشياء حادة في قلبك، أشياء طويلة إلى أقصى قلبك لتخلق فيك ما يشبه الموت، كلّ ذلك الشعور تتصا أمامه إنسانيتي البسيطة! تموت أمامه أشكال الحياة التي أعرفها! ولا للحياة التي كنت أظنها حياةً أي معنى!

الموت لا يموت! هو يُبعث في كل رائحة، في كلّ كلمة، في الأشياء الصغيرة التي تستحضر فيها وجهه الطيب. كلهم سيقعون فخّ الحياة إلا هم! الآن فقط يصبح الموت مبرراً بالنسبة لهم، الآ يعود ثمة ما يحرضك للحياة، ما يسرقك من يوم إلى آخر أعذب مـ الآن كلّ الأشياء رمادية، كلّ الأعياد جروح يعبرها الحزن المالح، أ

يصلون لأن نعبر من خلالهم دون أن يشعروا بها! دون أن يقعوا في حياة! الآن تغدو الحياة ناقصة أكثر مما يبدو عليه الموت!

ذلك الصغير يختبئ عن الدنيا بعد أن أدرك ألا جدوى من الحديث، وأنه لو كان كذلك لتوقفت أمه عن البكاء المرّ وتحدثت كثيراً لتحدث الأشياء الجميلة لهم مرة أخرى. هو يخبر العالم أنّ عينيه تدركان شكل الله جيداً، وأنّ يديه الصغيرتين عجزتا عن التمدد أكثر، حين كان يخبر صاحبه عن الجنة التي ذهب إليها قلبه الآخر عن وطن الأشياء الجميلة التي لا تحدث فيها أشياء سيئة كموت أخيه! هو الآن يميز جيداً رائحة الموت.. هو الآن نصف يتيم، بروح معطوبة ونصف حياة!

يا قلب أني غصن لا حياة له!*

أنا كائن من طين، إلا أنّ كلّ الكائنات المخلوقة من الطين مثلي لم
تراني!

العالم الذي أعرفه ينهار! والأشياء تتسرب إليّ من طفولتي،
من بشرتي السمراء، وشعري الطويل المجعّد، وأسناني الصغيرة
من أحلامي الغريبة، والوجوه التي آلفها وأبتسم لها دون أن أعر
أسماء أصحابها!

من رائحة الطين الذي أجمعه في يدي وأدسّه قريباً من أنفي. وأش
رائحة الإنسان في صورته الأولى، حين يكون أقرب إلى نفسه

الحكايا التي صارت أصدقائي، القصائد البيروتيّة التي كنت أقرأ
تحت سريري، حديث الشعراء الذي أسرقه من الليل. وأفتح عي
جيداً ليتسرّب الجمال فيه لقلبي. كان حزناً ذات ليلة!

كان ذلك الحزن الرقيق تمتدّ له ألف يد، ويفتح له ألف قلب. وكا
النقطة الأخيرة في ذلك الحديث العذب دمعة رضى.

لكن ذلك الشاعر مات من حزنه بعد ألف عام طويلة، وأدرك بعد أل

خيبة أنّ الطين قد يجفّ أو ينكسر، وأنّ كلّ تلك الأجساد التي كانت نصطدم به في الزحام لم يكن من بينها قلب نابض ليّن!

ذلك الشاعر لم يعد من الموت ليخبر أحداً أنّ البشر سينون! وأنّ الموت أجمل لأولئك الذين يشعرون بالوحدة، للذين يشعرون بأنّهم يتنفسون جيداً حين يلقون بأنفسهم بعيداً عن حياة، للذين يشعرون بالحنين لأصدقائهم.

كنتُ أراك في أحلامي. حين أمضي يوماً بلون الرماد، ويتكسّر في صدري ألف قلب من الطين دون أن يلين أحدها. حين أغفو وأنا أشهق من البكاء، أو حين أعجز عن النوم لأنّ الحياة لم تعد مكاناً يشعرني بالأمان!

كنت تمرّر أصابعك الرطبة على خطوط يدي، كان الطين / الإنسان الذي يتنفّس.

كنت تنفخ في قلبي أصوات تشبه أصوات أصدقائي ليكون الحنين برداً وسلاماً.

كنت تضع يدك على مضغة الطين في صدري ليذهب عني الحزن.

ولما كنت أسألك عن اسمك.. كنت تخبرني بأنك باقي الجسد الذي يتداعى لي بالسهر .

على «قيد» حياة!

ظلّ الحديث عالقاً في حلقه، يتكوّر بشكل غصّة تجعل ابتسامته
هذا العمر تبدو وكأنها متصنعة!

وفي كلّ صباح، في كلّ جنّة، في كلّ فم عصفور كان يفتح
ويصير الحديث مطراً لأنها ليست معه!

هو يعجز عن إخبارها أنّ العابرين على أيامه «وهم كثر بالمناسبة
يستطيعوا محوها من ذاكرته المريضة!

هو المهووس بالأشياء الصغيرة التي فتحت له أبواب الجنّة الدنيوية
كانت كلّ تلك الأحذية النسائية الحادة الأطراف، والروائح المحـ
كلّ الألوان التي مرت أمام عينيه بسرعة استحالت معها لوناً و
ابيضت منه عيناه!

كانت كلّ التفاصيل الأنثوية الباذخة عاجزة عن أن تنسيه إياها!

هو فقط يعجز أن يخبرها أنّ ذلك الغياب كان مبتذلاً أكثر من الـ
وأنّه ما كان يجدر به أن يدعها تكبر بعيدة عنه! لتتغير ملامحها،
الغيم في صدرها، لتلتقي أعينهما ولا يعرفها.. ويدرك أنّه كان ميتـ
ذلك العمر!

لأنه لما كان الصباح الذي تشابه فيه البياض كان يقسم لها بأنه يحتفظ بها في قلبه، وأنّ عليه أن يرحل لأنّ أمه ماتت! وعليه الآن أن يكون مستعداً للموت جيداً وحيداً، حزيناً، وبلا أصدقاء!

أخبرها أنّ البكاء. هو الدليل الوحيد على إنسانيتنا، وأننا «نحن البشر» نكتب لأننا عاجزون عن البكاء، ونبكي لأننا عاجزون عن الكتابة! ذلك أننا نستلذّ بالدرك الأسفل من الحزن، ونرصف بكاءنا لـ نصعد إلى السماء، لنشتمّ رائحة أمهاتنا في الجنّة، لنكون إلى شكل الإنسان أقرب، وإلى الموت أقرب.

كلّ ذلك الرحيل الكلاسيكي، والفقد الذي يحدث فراغاً ضخماً في قلبها الصغير أفقدها القدرة على الحديث هي أيضاً، وأدركت بعد عمر داكن أنّ عليها أن تجمع طرفي الإنسانية لتشعر به وكأنه كان هنا!

أنّ عليها أن تختنق، ليبقى متسع من الهواء ليكفي ذلك الغريب ليبقى على «قيد» حياة.

أنّ عليها أن تموت لأنّ الدنيا لم تعد تبتسم لها حين رحل!

ولأنّ الأرض كبيرة لـ درجة أن صباحاً واحداً لا يتسع لها!

ولأنّ الوجوه البعيدة تخلق فينا غصّة لا يخرجها إلا الذين تكوّنت من أحلامهم. لم يخطر ببالها إلا أن تكتب له رسائل طويلة تخبره فيها عن أسماء أصدقائها الذين التقطهم الموت من بين يديها، عن السواد الذي علق تحت عينيها، عن الفجائع، عن الحزن اللذيذ، وعنه، عن أنّها لا تزال مريضة به. وأنّ ذلك الفرح الوحيد الذي جمعهما ذات يوم، هو كلّ ما يبقيها الآن على عتبة السماء الأولى.. وأنّ الطريق إليه لا يزال طويلاً!

الأصدقاء داء!*

الصبيّة التي تخلّى عنها أصدقاؤها، التي تحاول أن تحكي جميلة، التي تخبئ في جيبها حكاية بيضاء، وفي صدرها المتعب أشدّ بياضاً

تلك الصبيّة أخبرتني مرة أنّ الأصدقاء داء!

هكذا أخبرتني بجعتي البيضاء، وأنا التي كنت ممتلئة بأولئك يخبرون الآخرين بأنّي صديقتهم الطيّبة. لم أكن لأظنّ أنّ الأصدقاء بالضرورة!

كنت أرى أصدقائي الذين يصنعون أشياء تبدو جميلة من أجلي، أسمع صوتهم الفيروزيّ الذي يخبئونه لي مع قطعة السكّر، كنت أل ايديهم. ولا أشعر إلا بالوجع!

رغم ذلك، لم أدرك بأنّهم داء حقيقي يؤذينا الشعور الذي يُخلَق من خلالهم أكثر مما يبعَث على الفرح!

الصبيّة النحيلة التي تشبه تشرين في برودته، في وحدته، في اصد وطيبته، في غيابه المقلق. أخبرتني أنّ الأصدقاء لا يفهمون!

هم فقط لا يفهمون ما أشعر به، رغم أنّي أخبرهم أنّي كنت أبكي

وأني كنت أشعر بالدوّار، وأنّي فقدت ذاكرتي، وأنّي لم أستطع النوم. أبداً!

لا يفهمون أنّي معلّقة في غيمة، يأخذني الموت ويعيدني إليهم. بأطراف باردة وبلا روح!

لا يفهمون أنّ عابراً غريباً سينظر في عينيّ البنيّتين، وسيخبرني أنّه لا يجدر بي أن أنتظرهم، ويرحل.

كلّ أولئك الذين رحلت عنهم،

كلّ أولئك الذين غادرتهم،

كلّ أولئك الذين ألقيت بهم في الغياب،

كلّ أولئك الذين كانوا أصدقائي في حياة أخرى،

فقط لا تعودوا!

لا تحفروا قبور الذاكرة وتخبروني أنكم تشتاقون لتفاصيلي.

الأصدقاء داء يا أصدقائي!

اثر العمر «سارة»

أولئك الذين يحكون للغرباء حديثاً مطولاً عن أصدقائهم، ويغلفو..
بكلمات لا يشبهها شيء. أولئك الذين يشعرون في عمرٍ ما بأنّ حد
لأصدقائهم انتهى! وأنه لم يعد هناك شيء آخر يحكونه عنهم. من
لهم القدرة على اختزال أصدقائهم في أحرف؟! واختصار العمر
بينهم في «رسائل»؟!

الآن لما أردت الحديث عنك. عن قلبك الطيّب الكبير غم
بكاء حلو!

لأنّك لا تختصرين في حديث، لأنّي أعجزّ عن طيّ العمر معك
حديث يقرؤه غرباء عنا غرباء لا يدركون كيف كانت الص
العذب يفرد لك جناحاته، لا يدركون كيف كنّا! وكيف كنت صد
تقدر أن تكون لي أكثر من قلب، أكثر من روح، وأكثر من ذاكرة
يدركون شكل ابتسامتك ولا كيف يمكن أن تكوني طيّبة كالملائكة

الآن أدركت، أنّك الوجه الباقي من الأصدقاء. الذين يسرقون
العمر حديثاً مطولاً، ولقاءاً برائحة عطر تميّزه حواسّي، فقط لأنهم كا.
قلقين من حديثي الأخير، القصير جداً!

الأمر أنّ يدي تؤلمني لـ كثرة ما كتبت رسائل أخبرك فيها أني أخشى أن أعجز عن الحديث، أن لا أقدر على الكتابة بعد الآن! وأنّ عليّ أن أعزّي نفسي في يدي بعد كلّ حديث وأستعدّ لأن أقضي العمر الآخر بلا رئة، بلا قلب، بلا أطراف دافئة. وكأنّ ما نحتاجه لأن نكتب هو «عشرة أصابع»!

الأمر أني أخاف أن أسألك: هل تدركين الوجع الحقيقي؟! هل فشلت في إخفاء إسقاطات القلب عن عينيك؟!

هل وقعت أنصاف ابتساماتك، وأنصاف أسئلتك في الفراغ العميق في قلبي؟!

وأخبرك أني لست يتيمة! وتبتسمين. كأنك تخبريني بأنك ظلّ قلب، وأنّ يدك الغضّة قريبة، وأنك تملكين كلّ ما يلزم لتزيلي الأشياء السيئة من قلبي. رغم اليتم ورغم الحياة التي آذتني، رغم الأصدقاء المعطوبين، ورغم الأصوات التي بحّت دون أن تكمل أغنيتها الحزينة!

وأنا أخاف أن تموت الفتاة الصغيرة التي تحكي حكايتها فيني!

أخاف أنّ أتعلّم الصمت!

أخاف أن أغيب مثل تشرين!

أخاف أن أتآكل من الحزن والوحدة!

أخاف.. لأنّ أطرافي باردة وكلّ الأشياء تذوب، إلاّي!

تحشرني الحياة في زوايا ضيقة!

الآن أشعر أن رئتي تلتصق بالجدار، أو أنّ الجدار ينهار على رئتي الجدار الذي لا يزعج غيري. ولا يراه غيري!

يصدر التنفس في رئتي أزيزاً مزعجاً مرهقاً يعجن ليلي ليطول أكثر مـ يجب لأعجز عن الموت، وأعجز عن الحياة، وأعجز عن النطق.

أتكوّر على نفسي وأقلب بكائي ذات اليمين وذات الشمال، وأدعو تحدث معجزة قبل أن تشرق الشمس وأستيقظ على ذات الحياة التـ آذتني!

في الأيام السيئة مثل هذه. أشتهيك تعود إلى الحياة، أشتهي أخبرك ما الذي يحدث. لأنّك وحدك تقول الأشياء التي يجدر بـ قولها، الأشياء التي تجعلني أكثر هدوءاً، أكثر أماناً، وأقل حزناً، لأنّك وحدك تفعل الأشياء الصغيرة التي تذوّب غصّتي في ماء الفجر البارد

لكنّك ميت وهم لا يشعرون! والعصفور في قلبي الصغير ما عاد يغنّي

صرت كلّ ليلة أحفر رئتي قبراً للعصفور، أختنق ويضيق بي الهو أرفع رأسي أبحث عن جهة خامسة. إلى السماء أقرب، أبحث عـ سماء قطنيّة أتعلّق بها وأرحل عن هذه الأرض السيئة، لألتقيك

لأخرج الأشياء الحزينة من قلبي وأرميها لتتساقط مطراً على حيّ فقير ليضحك الأطفال على الأشياء التي تحزنني، ليسخروا من بكائي. لئلا يفهموا، أنّ ثمة ميّت يلقي عليهم نكاتاً لا تدفع إلي الضحك!

تموت أكثر الأشياء الجميلة التي كانت في قلبي، أسقط من جوف الكثيرين، ويسقط آخرون من جوفي، ولا أزال أخجل أن أخبر أمي أنّي أشتهي هدية في صندوق أصفر كبير لتخبرني أنها تحبني كما أنا، لتخبرني أنّها تصدقني، وأنّ أصواتهم المقرفة لا تصل آذانها الطيّبة!

هكذا تكون الوحدة يا صديقي، حين تخلو من الأصدقاء، من قلب أمك، من الحديث والهواء والحياة والصباح!

حين لن يخبرك أحد بأنه لا يجدر بك أن تموت. حينها فقط تكون وحيداً كيتيم! لتسخر منك الدنيا، لتذكرك بما أنت «تماماً» لست عليه! أنت لست إنساناً يستحق الأشياء الجميلة في نظرها! أنت نصف .... ونشرق الشمس ولا زلت حيّة!

لـ قلبنا،

لو أنّ تفاصيل الأصدقاء السخيّة كان يمكن أن تختصر، ستكون وحدك.

ولو أنّ الأبجدية كانت رئتي الثالثة لـ سبب، فذلك لأجل أن الحديث في قلبك، الحديث الطويل الذي يخبرك بأنّك طيّبة، أمان، وبأنّ الدنيا لا يمكنها أن تحزنني أو تثير غضبي حين تكون المس بين قلبينا لا تتعدى احتضان. الحديث الذي يمتلئ به قلبي، وأشعر لا يليق بك.

ولو أنّ الدعاء يضعنا في طريق واحدة، لملئت فمي بـ: قلبنا يا مضغتنا الصغيرة التي صارت شيئاً واحداً بعد كلّ الطرق التي سلكناه حتى تورّمت أقدامنا، حتى كبرنا، حتى صرنا نحمل الملامح نفس القلب نفسه، الحياة نفسها. وحتى الخوف الصغير نفسه!

الغياب الأطول الذي عبرت فيه أياماً اعتيادية كثيرة دون أن أت الشوكولا معك، دون رائحة قلبك، دون عينيك، ودون خاتمك تدورينه في اصبعك وانت تحكين لي عن الدنيا

الموت الذي سرقك مني بحماقة في حلم باهت، استيقظت مد

حنين يقضم قلبي، بنصف روح، ببكاء مخبأ على صوتك الدافئ الذي يخبرني بأنك ستقصين شعرك «وبأنه سيبدو جميلاً»

الوعد الذي ألقيته علي، وتحقق بأجمل مما تصورت، وصوتك الهامس الذي أدرك فيه أنك تعلمين تماماً ما الذي أريد إخبارك به.

كلّ ذلك فجّر قلبي على أطراف الموعد الذي سرقناه من الدنيا، لأننا أصدقاء عمر، لأنّ لنا قلباً واحداً، لأننا يجب أن نتنفّس معاً. لنعيش!

من بين كلّ أولئك الذين أتحدث عنهم في غياب، انتِ الوحيدة التي لا أحتاج الحديث عنك لأن يُستحثّ!

انت الوحيدة التي لا أشعر أنّي أحتاج لأن أجمع تفاصيلك اللذيذة، والأغنيات التي تشبه صوتك، وفستانك البنفسجي الجميل. لأحكي للعالم عن صديقتي التي لا يشبهها أحد!

انت الوحيدة التي لا ينتهي الحديث إليها بـ «نقطة» لأنّ ثمة عمر آخر سيجمعنا.

شكراً لـ يوليو الذي أتى بك، الذي كان برداً وسلاماً على قلبي.

لـ صوتك الذي يخبئ بكاء الحنين بابتسامة كبيرة، وسرّ صغير

شكراً لقلبك الطيّب، الاستثنائي. لأنّ الأشياء معك لا نهاية لها!

الموت في حلم.

يوم أنّي رأيت وجهك النيّر قبل «نصف عمر» لم أكن أخشى حينها
يسرقك مني الموت في حلم. وأن أستيقظ من نومي بـ اختناق حقيقي
ببكاء عاجز، بقلق لم يطفئه صوتك المبتسم الذي شربته كثيراً اليوم

الفراغ الهائل في قلبي، والوجع الذي لا يمكنني أن أحكيه! عي
اللتان تحدقان في كلّ شيء وكأنها تخبر الدنيا أنّ ما حدث لم يكن سـ
حلم سيء، سيء للغاية! وأني لن أفقدك هكذا. ببساطة!

لا يمكن لأحد أن يفهم ماذا يعني أن أفقدك، وأن يكون عمري الق
خالياً منك!

الموت الذي كنت أتندّر عليه، أحكي عنه كثيراً، وأجرّب أن يكـ
صديقي وألا يصيبني في قلبي. أخذك أنتِ!

من بين كلّ الأشخاص حولي، الأشخاص الذين لن أشعر بالحزن
قلبي إن غابوا، الذين لن ينقلب عالمي حين لا يكونون هنا التقط
مني، في الوقت الأطول الذي مضى من عمري وأنت بعيدة عن عيني

وكأنّي أرى حلمي السيء يخبرني أنّ حياتي الصغيرة التي ظنـ
جميلة، يمكن أن تنهار في أي لحظة! وأنّ أصدقائي الطيبين يمكـ

يصعّدوا إلى السماء، واحداً تلو الآخر، وعليّ أن أتكئ على قلبي الفارغ
عمري المتبقي. وأن أعيش حياة لا تشبه الحياة التي أعرفها!

كأنّ الأحلام السيئة تخبرني بمدى ضآلتي، وأنّ موتاً واحداً «مهما كان
يعنيني» لن يغير شيئاً على هذا الكوكب!

وجه أمّك المليء بالحزن، حاجاتك الصغيرة، قطع الدنيا، وذاكرتنا

ماذا يعني أن تقدم لي أمّك جزءاً منك؟! أن تتخلى عن حياة ابنتها
الباقية وتمدّها لي. كأنّ جزءاً منك يخصّني وحدي، كأنها أدركت
العطب الذي أحدثه رحيلك المتخيّل في روحي، كأنّا صرنا بعد هذا
العمر شيئاً واحداً.

أخبري تلك الأحلام السيئة التي تبكينا، وتبقي في قلوبنا غصّة كبيرة
وعيوناً قلقة تدور في الأرض تبحث عنك.. أنّ الموت إن عبر بيننا..
أني أودّ الرحيل معه قبلك! وسأفعل..

lonly

أشعر كأنّ وجوه الأصدقاء تهوي من قلبي ليوجعني الفراغ. كأن تضيق، وقلبي يضيق، وأعطش لقلب آلفه يحضن يدي وينتهي كل التعب.

أشعر كأني في عالم بارد، وحيدة!

الصباحات يا صاحبي مليئة بالرؤى التي لا أقصّها حتّى على نفسي!

نفس الحلم السيء الذي يوقظني بـ شهقة: أنّ الحياة تسير في الاتـ الآخر، أنّ كل الوجوه رماديّة / متشابهة، وأنّي أصاب بالعمى قبل أراك، وأنّ قلبي يجفّ يجف كثيراً، وأغصّ بالهواء الذي أتنفسه ورغم هذا لا أموت!

كل صباح، بعد أن أستردّ بعض قلبي يخطر في بالي أنّي ربّما آلف العالم كما هو، وأنّ الكون قد يكون صالحاً للعيش من دونك! النسيان قد يكون. للعمر الذي كان متخيلاً بيننا!

المثير للحزن أنّي حين مررت من خلالك «في حياة أخرى» لم أخـ كاملة! وأنّ شيئاً مني رحل إليك، جزء من قلبي الصغير تشكّل خلالك..

المثير للحزن أنّ ذاكرتي المتعَبة وقعت معك في فخّ النسيان والبعد، وأنّ قلبي لا زال يحبّك! لمّا كنت أستحضر روحك كانت ملامحك وصوتك وطباعك اللينة حاضرة في ذاكرتي. كنت أستطيع التنبو بكلماتك التي ستلقيها علي، بالعصافير البيضاء الصباحية التي طيّرتها لي، بالأشياء البنفسجيّة والفيروزية التي سأجدها تحت وسادتي، بدهشة الأعياد التي تحبس نفسي وتعلّق على شفتيّ ابتسامة عريضة خلقت لك وحدك، بالدلال المترف الذي يشبهك أنت فقط.

غير أنّ ذاكرتي الان وقعت في النسيان، النسيان المكره لا شكّ. وأنّ الموت أخذ مني أكثر مما كنت أظنّ، الآن أنا فاقدة لذاكرتي، للجزء من قلبي الذي تشكّل من خلالك، للروح التي كانت تتكئ عليك. وحين أسير في طريق مليء بالوجوه، أشعر بأنّهم يرون الفراغ فيني. ويدركون أني فقدت صديقاً، وخسرت روحي معه!

المثير للحزن أنّ كل الأصوات العزيزة على القلب تشبهك، وكلّ الأعين البنيّة تبدو كعينيك، وأنّ كل الحزانى يستحقون إما الموت وإما السعادة.

وأنّ كلّ أصدقائي يعتصرون روحي لتخرج أحلامي السيئة ليكون في العمر متّسع لنلتقي، لأخبرك عن حلمي السيء الذي تكرّر كثيراً، الذي أقصصته على الدنيا ألف مرة! حلمي الذي كانت الحياة فيه تسير في الاتجاه الآخر، الذي كانت كل الوجوه فيه رماديّة / متشابهة، وكنت أصاب بالعمى قبل أن أراك، وكان قلبي يجف. يجف كثيراً، وأغصّ بالهواء الذي أتنفسه.. ورغم هذا لا أموت!

حديث نفس.

الشفاء من الكتابة «حين يتخلّى عنك الحزن» هو حزن آخر مترف
يعيه سواك!

كأنّي في كلّ مرة أسعى فيها للحياة من خلال «حديث نفس» أض
إلى قلبي وأغمسك فيه، لأنّك الأقرب. لتلتقط يداك أي حزن عظ
أو عابر، أو حتى زائف. وتخوّل عليه حتميّة التعايش معه والح
عنه لـ غرباء!

وأعلّق عليك اختناقي، ونفَسي المنقطع الذي لن يرتدّ إلا من
الكتابة.

وحتّى حين تقلق عليّ كثيراً لأن شفاهي غدت بلون التوت، ويت
الأوكسجين المرتبك في رئتيك، وتنفخه في روحي. ستدرك أنّه
غير قابل للتنفّس والحزن الإنسانيّ!

وأنّ الكلمات قد تفشل أحياناً في أن تخلق فينا فرحاً يزور صديقاً
حلمه ليخبره بأنّا نهتمّ لأمره. وبأننا نشعر بالوحدة من دونه!

ستدرك أنّ الحياة تغادرك دفعة واحدة، ما إن ينعقد لسانك عن الحد
عن وجعك جهراً، ما إن ينسكب ماؤك أمام أعين غريبة، لا ترى فيك
الترف..

كأنك تصيّر الكتابة رئة ثالثة تمتدّ إلى قلبك، وروحك، وأطراف يديك الباردة. بعد أن كانت ثقباً صغيراً تزفر منه البكاء الذي لن يفهمه أحد.

كان عليّ أن أحبس نفسي طويلاً حتى تزرقّ شفاهي، ثمّ أن آخذ شهيقاً يجمع الصباح كلّه في قلبي. لأدرك أنّي كبرت كثيراً منذ رحيلك، وأنّي لا أقدر أن أبرّر وحدتي! لأدرك أنّي تورطت جداً في الكتابة. لدرجة أني لما تحسست قلبي، وجدت فيه عطباً لن يشفى!

وأنّ عليّ الآن أن أعتاد على الاختناق من دون أن أشعر حقاً بالحزن، على أن أعيش برئة معطوبة! أو أن أجلس بجانبك عمراً بأكمله، وأخبرك أن نغمس يدك في قلبي «ما إن ترى لون التوت أو يضيع صوت تنفسي في هذه الدنيا» لتخرج يدك بيضاء من غير سوء. ولأقترف نفساً من نوع آخر!

صباح الموت أيتها الحياة،

ـ أنتِ طيّبة، طيّبة لدرجة لا تليق بهذا العالم السيء!

ـ لكن العالم ليس سيئاً إلى هذا الحدّ!

أن أكون وطنك، ذلك يعني أن أقايض حزنك بكلّ ما أملك أتخلّى عن الأشياء الأثيرة لدي لألمح ابتسامة صغيرة على فمك.

ذلك يعني أن أقلق كثيراً حين أشعر أنك لست بخير، أن أبكي لحز الأزرق الحزين، أن أحبّك.

ذلك يعني أنّ علي أن أحيط قلبك الصغير بيديّ لئلا يؤذيه الكون، أنفخ بين جناحاتك، أن أصنع لك بحيرة بجع صغيرة صافية في آخر لا يتركنا فيه من نحبّ!

اليوم سقطت منّي ذاكرتي يا روح!

وأسوأ ما قد يحدث حين أفقد ذاكرتي، أن أخسر مهاودتي الغامضة الموت. مهاودتي التي تخيف أصدقائي القلقين، التي ترعب أمي. لا يفهمها أحد!

أن أنسى شكل عينيك، وطعم ابتسامتك، وسكّر الصباحات معك

أسوأ ما قد أدركه، أني فقدت اليقين فيك! وأني سأنظر إلى عينيك يوماً لن أرى سوى الفراغ والوحشة، وسأعجز عن رؤية الروح التي كنت أزور داخلها.

● صباح الموت أيتها الحياة!

وعد

بما أنّ الأمر منوط بك الآن.

أنا حزينة حتى تخبريني بأنّي لست كذلك!

هل تدركين كم من العمر نحتاج لأصدّق منك وعداً آخر؟!

وكيف أنّي لا أملك هذا العمر معكِ انتِ بالذات!

هل يعنيك حقاً الانكسار الصغير الذي حدث في قلبي؟! أنه تع
وصار يؤلمني؟!

ماذا لوأخبرتك أنّي كنت موجوعة؟! وأنّي كنت أبكي هذا الصباح
أن تكوني قريبة منّي.

لا أعلم إن كان يخيفك الوجع البعيد عنك كما يفعل القريب أم لا!

لا أشعر أنّي بخير!

فقط إياك أن تلقي عليّ وعداً آخر .

أراك عصيّ الدمع*

الأوطان الغريبة عنا تضعنا في مواجهة مع إسقاطات الذاكرة التي لم تمل!

أستطيع التنبؤ بذلك وأنا بعيدة عن وطني نصف «كون»، أشرب قهوة لا كرة لها معك!

أنت لست بخير أبداً، أنت موجوع، أنت تموت! وأنا لا أملك إلا أن ف لك في ذاكرتي حياة أخرى طويلة.

حياة تتكوّن من خلالك. بأغنيات الطفولة، بطعم الأعياد في فمي، موت الأول، وبالحبّ الذي أدسّه في جيوبهم كلّ يوم. بصوتك، ونك الملائكي الذي آلفه أكثر من «وطن».

كلّ التفاصيل التي أراها في حياتي العشرينية الأنيقة تتكوّن من خلال نيك الصغيرتين، من خلال وجهك المتعب وشعراتك البيضاء، سامتك المرهقة التي تلصقها على وجهك ما إن تلتقي عينانا

صوتك المكسور يدفعني للبكاء، أنت ذاكرتي! وحين لا تكون بخير سافط أجزاء ذاكرتي في نفس الأماكن التي عبرنا الحياة من خلالها مسي بلا ذاكرة.. غريبة حتى عن نفسي!

حين رأيتك تمشي محاذياً للوجع   أدركت أنّ قلباً كبر على صوتك يمكنه أن يعجن حياة أخرى عشرينية، مترفة، ومليئة بك! وأنّ لا يمكنه أن يسكب في قلبي الدهشة الرقيقة على عتبة كلّ نبرة حرف أحد يمكنه أن يخلق الأعياد في صوته إلا أنت.

اصنع لي أغنيات ودسّها في قلبي . . . ولا ترحل، لا ترحل أبداً!

إلى سماء،

يحدث أن أخبرك أني راحلة، وأنّ الأشياء القريبة قد تكون غاية في اللذة لـ درجة اشتهاء البكاء!

ويحدث أن تخافي بكائي أكثر من أي شيء، بعد نصف بكاء وقع أمام عينيك. حيث لم يكن هناك متسع بيننا لتخبئي خوفك الطفوليّ المتفجّر من عينيك! أنا التي لم أدرك ذلك اليوم كم يرعبك حزني!

وكأني حين لا أبكي. لا أكون حزينة! وكأني حين لا أبكي لا أشعر بالفقد، ولا بالوجع في قلبي، ولا بالحاجة الملحّة للرحيل!

يحدث أن تسكبي لي حديثك الشهيّ دفعة واحدة، لأقع في دهشتي بك، وأشعر كأن أجنحة بيضاء نبتت في قلبي. وأرغب كثيراً في أن أصعد روحي إلى سماء أخرى أكثر بياضاً من هذه التي أنظر إليها كثيراً حين أرحل عن وطني على الرغم من السماء هي نفسها! وعلى الرغم من أن لا وطن لي على الأرض.

أنا حين أصعد للسماء أشعر بالوجع في قلبي!

أشعر بأنّي بلا وطن، وبلا أصدقاء، وبلا هواء في رئتي

أشعر أنّ أولئك الذين كانوا يدفعونني للحياة، دفعوني في الاتجاه الآخر . ومتّ!

أعلم أنك ستشعرين بالغضب حين تعلمين أني كنت أخبئ تفاصيل صغيرة، أني لا أحدثك عن أصدقائي الذين أخذهم الموت، وأولئك الآخرين الذين أخذتهم الحياة.

أنا لا أخبرك حين أبكي! ولا أخبرك بأني اليوم احتضنت نفسي «فقط لأني عجزت عن البكاء»!

أعلم أنك ربما قد لا تفهمين لمَ يطلّ الحزن من عيني كثيراً، ولـ عيناي في بعض الأيام «حزينة أكثر من اللازم»!

أنا لا أملك حديثاً أخبرك به لتعلمي لمَ أشتهي البكاء فيك. مجرّد حديثي لك عن الفجائع التي كسرت قلبي، وعن الأشياء التي تفسد يومي، وعن الأشياء التي تجعلني حزينة. هذا يسرق مني عمراً آخر يا روح! عمراً قد لا أملكه!

* أنا الآن أقرب مما تظنين للموت..

وهم!

اللذة المتخيّلة قد تصنع بنا كلّ شيء. إلا اللذة!

الفرح المحاك لا يليق بأحد، والأشياء الصغيرة التي نخلقها في قلوبنا، [ن]نظرها، ونعجز عن النوم بسببها، كلّ ما تفعله بنا هو الوجع الباهت [الذ]ي نعجز عن نسيانه!

أن أتخيل الأحاديث الصغيرة التي ستدور بيننا، شكل الابتسامات [ب]صافها، انعكاس ضيّ الشمس في عينيك ذلك الصباح، ولون الدنيا [ب]احتها.

أن أشعر بأنك ستكونين أقلّ دهشة مما بدوت عليه، أن تكوني تماماً [ك]ما كنت أتخيل. هو غباء محض! وعادة سيئة وقعت فيها لفرط ما [...]ك احتاج أن أسرق من الدنيا عمراً صغيراً أغنّيه معك

أن أفقد ذاكرتي الصباحية معك كلّ يوم. هو احتياج مبطّن لأن تكوني [...]بة جداً، لأن تدسي لي يديك كثيراً في وقت آخر من الحياة، لأن [...]كي لي صباحاً آخر

لعلّك لا تدركين أنّ اللقاء بك يكوّم في قلبي الخيبة أكثر من غيرها،

وأني في كلّ مرة. ما أن أدير ظهري عنك حتى أشعر بالوجع يتكو
حلقي ولا أقدر «في كثير من الأحيان» على البكاء!

تدركين أني أشتهي ذلك البكاء أكثر من غيره، لأنّ ثمة ما يخبرني البكاء بين يديك لن يكون مجرّد «ماء»!

لأنّ قلبي يشعر بالخوف ألا تضعي يديك عليه فيذبل! لأنّي أشتهي الحزن معك كما الفرح، وكما اللذة.

ولأنّي كنت أدعو كثيراً أن تتنازلي عن خوفك من بكائي وتست الطفلة التي تشعر بالوحدة بداخلي!

لنقل أنّ الفرح المتخيَّل يمكن أن يتنزّل على روحي.

فقط كوّمي قلبك في صندوق أزرق وقدميه لي، فقط احضني كثيراً، ولا تجعليني يوماً وحدي في هذه الدنيا غريبة!

لأن الأشياء التي أشتهي أن أخبرك بها لا تنتهي!

لأنّي أحياناً يعتريني الوهم. بأنّي أستطيع رؤية ولمس الأشياء الا التي ستخلق بيننا «أو ربّما تموت»!

لأنّي أدرك أني معطوبة بدونك! ميتة تماماً ولا أصلح لشيء!

لأنّي أعلم جيداً أني «منذ استعدت قدرتي على التنفس بعد ح الأخيرة» أني لم أعد قادرة على الكتابة إلا لك، وأن الكتابة هي الثاني، ورئتي الثالثة، وحياتي التي أحيا من خلالها، وأنك انتِ قلبي

في المرّة القادمة التي سأتعثر بها فيك . . . ذكريني ألا أنام! أقله أحلم!

خلّيك ليا*

الأشياء التي تصنع في قلوبنا الوطن تملأني بك،

الأصدقاء الذين وجدتهم من العمر الجميل، يشبهون رائحتك!

الذي يغني على الضفّة الأخرى من الدنيا: «أنا لك على طول» يكاد يكون صوتك!

أنا الآن أعبر الوطن، والموت، والجنون، والحزن الإنسانيّ.
وألمس سرابك!

أنا أنتفض. لأنّ السعادة تخلق فيني أجنحة صغيرة، لأنّي سأصبح عصفورتك القادرة على الطيران للحياة التي تسكنها

أنا أبتسم، لأنّ العمر الجميل فيّ بعث من جديد، لأنّ تفاصيلك تزهر في قلبي.

أنا أبكي. لأنّ دمعي يشعرك بالخوف قليلاً، ولأنّ الفرح اللذيذ يتدفق في قلبي بطريقة لا أفهمها جيداً، لأنّي أدرك أمراً واحداً فقط. أنّ كل هذا السحر سيزول!

أنا أحبّك.. ولا أستطيع أن أخبرك أني أشتهي البكاء عليك، وأشتهي

البقاء في حياتك الأخرى خارج هذه الحياة المألوفة، أنّي أحبك ل
أنّي قد أخدش قلب أصدقائي خدشاً صغيراً يدعونه «خروجاً من الـ
أو ربما «موتاً»

أنا هشة بك، ولا أملك حفنة وطن أتكئ عليه لينسيني إياك
إني حين نظرت أسفل مني. وجدت ماءً يعطش!

أنا أشبهك اليوم أكثر لأني مجرّدة!

يا طفلة القلب الحزين*

صوت صديقتي المخبّأ وراء الغياب يجعلني حزينة!

لد أدرك جيداً لم أشعر بالمساحة في قلبي باردة حين تكونين بعيدة له عندما أشعر بأنك كذلك» لكن ما أعجز عن فهمه، أني أشعر رجع حين تكونين أقرب إليّ من حبل الوريد.

كأنّ روحي ستغادرني إليك!

كان العمر بقربك جنّة، لدرجة أني أخاف حين أفتح عيني، أو أترك يك. أنه سيكون كلّ شيء مجرّد حلم! وأني سأضطرّ لعيش حياة.

ا كاملة، من دونك!

وأنك كنتِ في قلبي، في ذاكرتي فقط!

يخذلني إحساسي الذي لا أزال عاجزة «بعد كل هذا العمر» أن أحكيه ، أو حتى لنفسي!

اكريني أن أخبرك يوماً كيف أتمنى أن أكون ليّنة. أن أتشكّل وأسكن لبك بدل الفراغ الموجع! بدل الشرايين التي يعبرها هواء بارد يجعلك العرين بالخوف!

ذكريني أن أخبرك كيف أحبّك. لـ درجة أتمنى أن أسكنك التعب، بدل الوحدة، بدل السفر، وبدل الوجوه الغريبة التي تحدق كلّ يوم!

أدّيش كان في ناس؟!*

هل تبلى ذاكرة الأماكن؟!

تلك الصبيّة كانت تقف عمراً على نفس الطريق، بحديث معطوب!
فاقدة القدرة على الحديث، على سؤال أصدقائها عن ماهية القطع البيضاء التي تتنزل على ذلك الطريق وتذوب على أنفها. عن الأشجار الطويلة التي يتخللها نور الشمس، عن صوت العصافير التي لا نراها!

هي تريد ن تحدثهم عن الوجع الذي تشعر به يعصر صدرها، لم يحدث معها ذلك رغم أنها طيبة؟! ولم هي «الوحيدة من بينهم» التي هي ترغب جداً في الحديث، وتفتح فمها الصغير لا يحدث إلا أن يتجمع الدم في وجهها وتعجز؟!تعجز أن تنطق! تعجز أن تهدي الأصدقاء صوتها الحريري وتغني لهم، تعجز أن تخبر أمها أنها بخير، وأن عينيها حزينة فقط لأن الحكاية التي نسجتها في مخيلتها انتهت نهاية حزينة! وأنّ كلّ من في تلك الحكاية آذى قلبه وخذل الآخرين! وأنّ حكايتها الصغيرة اسمها «حياة»، وأنّ كل من في تلك الحكاية يحملون أسماء تشبه أسماء أصدقاءها الذين لم يعودوا يعبرون الطريق الذي تقف بها

كتبت له ذات مرة: أحياناً أشعر بالسعادة لأني لا أستطيع الحـ
لأني لا أملك القدرة على أن أبتسم في وجه الآخرين ابتسامة لا مع
وأخبرهم أني بخير، بخير وفقط! لأني لا أستطيع أن يفلت الحديـ
شفاهي دون أن أخذلهم لأني ربما لـ فرط ما أتحدث، لـ
لأحتفظ بأصواتهم جيداً في قلبي.

تلك الصبيّة لا تدرك أن ذلك الوجع يسكن في القلب لأنها غريبة،
أصدقاءها لو عادوا ليعبروا العمر معها سيشفى قلبها

تلك الصبيّة لا تفهم إلا حزنها، ولا تخاف إلا موت أمها، ولا
إلا أن تسمع صوتها تغني!

تلك الصبيّة صارت تنام ليلاً على القلب الذي يوجعها، تعصره
حتى أحدثت في قلبها عمقاً آخر لا يمكن شفاؤه!

أخبرته ذلك الصباح:

ـ ثقبت قلبي.

ـ وأنا فقدت قلبي!

ـ لو أننا نموت!

ـ ونعود إلى الحياة يوماً؟!

ـ من باب التغيير لا أكثر!

إن كان للأيام ذاكرة، ستخبرك أنها ذلك الصباح رأت ظلال

الذين كانوا أصدقائها يعبرون بالقرب منها، على الطريق الذي تنبت خلفه الأشجار الطويلة، وتسكن فيها العصافير التي لم ترها يوماً. عبروا على الطريق الذي كانت تسمع فيه أصواتهم ويرتعش قلبها المثقوب!

كلّ ما في الأمر أنها ظنّت أنها فاقدة القدرة على الحديث!

ولم تدرك أنها تستطيع الكلام إلا حينما خرج صوت شعرت وكأنها له جداً «وكأنه صوتها»: نطرت مواعيد الأرض، وما حدا نطرني!

أنا مريضةٌ بك!

ربّما لا تدركين كيف أخبر أصدقائي الآخرين بأني «أحبهم»

ربّما لا تدركين أن الحديث عن الأصدقاء ما هو إلا امتد

الشعور الممتدّ لا نهاية له، وأني في كل مرة أرتبك جداً حين أقد

حديثي الصغير عن قلوبهم الكبيرة.

قرأت مرة، أن ليس كلّ الحب سماويّ، وأن ثمة حبٍ يجر

الدرك الأسفل من الشعور!

أنا لا أحبّك بطريقة سماوية فحسب. كلّ ما في الأمر أنّ السم

أراها بعينيّ، ما عادت تتسع!

والأمر الوحيد الذي أدركه جيداً أنّك حاضرة في عمري

انقباضات قلبي الصغير، في التفاصيل اللذيذة التي تشكل عمر

يكبر، في زخم الشعور وازدحام الأوجه الغريبة .أنا ابتسم

عريضة بينهم، فقط لأنك صديقتي. لأني أملك في قلبي شيئاً

يرونه ولا يدركونه ولا يستطيعون سماع صوته العذب!

أحبّك لأنّ العمر مجرّد «غريب» ما لم تلتق عينانا، ما لم تهمس

لاني بأنّي اليوم أجمل، ما لم تمسكي يدي وتظهري لي فقط نصف ابتسامة. لأنّ الدنيا ليست لي إن لم تكوني هنا.

المثير للسخرية، أني كنت أحدّث نفسي هذا الصباح. أني وإن كان لدي «رغبة» في أن أزرع أحد أمنياتك المجنونة في عيني، وإن كنت أريد جداً أن أبكي «ولو كان من أجلك». أني ما عدت قادرة على ذلك!

وأن حضورك في قلبي كان باعثاً للفرح بطريقة لم أعتقد أن أحداً ما قادرٌ على أن يحدثها، وأنّ الحزن بين يديك أمر مبتذلٌ جداً. أكثر حتى من القدرة على تمنّي البكاء وإن كان ترفاً!

• وما يبعث فيّ عمراً آخر من البهجة، أننا الآن نتشاطر ذاكرة واحدة.

أصدقاء.

- لماذا نحتاج الأصدقاء؟!

- لأنك حين تشعر بالحزن، والخوف «أو ربما الخيبة» وتشـ ...ى البكاء. ستدرك أن احتضانك لنفسك لا يجدي، وأنك أكثر ضـا... أن تشعر نفسك بالأمان!

- الاصدقاء الحقيقيون لا يجعلونك تشعر بالحزن من الأساس!

- ربما. لكن الأشياء الأخرى تفعل بالتأكيد.

- إذن كلّ ما تحتاجه من الأصدقاء مجرد احتضان؟!

- كل ما أحتاجه هو الأصدقاء.

خارج النص /

وحين ترفعين يديك وقلبك للسماء، لا تنسي أن تدعي ألا ... أجمل الأشياء فينا!

لأنّي أحبّها

لأنّي أحبها. يتكوّم الحديث مطراً على شفتي، ولا يليق بها غير أنّي أحبها.

لأنّي لا أدري كيف كان ليكون ذلك القلب لو لم تكن فيه، لأنها ملائكية، لأنها تزرع في قلبي الياقوت، ولأنّ كل الأشياء التي تلمسها يديها النورانيّة تتحول لـ جنّة.

كلّ التفاصيل التي تمتد إليها يديها برفق، تصيّر قلبي عصفوراً صغيراً يجرّب أن يطير لأوّل مرة. يسقط في السماء دون أن يغمض عينيه!

حتى اليوم. مجرّد استشعار الجمال الذي تحدثينه بيديك يأخذني إلى مكان آخر، إلى دوخة محببة للنفس، إلى شعور لن يدركه أهل الأرض جميعاً!

ذلك الارتجاف اللذيذ، ذلك الحنين العاصف بنا، الذي أقف فيه بين أن أغمض عيني وأسقط معك تماماً، أو أن أحدق في الأشياء والأرواح التي تحوم حولنا بضبابية. وأشد على رئتي، لئلا يكون الهواء الذي يلامسك دافئاً أكثر من العادة. لئلا تدركي أني وقعت في سطوتك وانتهيت، وأني أشعر بالدوخة . . . وأنّي أحبّك!

أنا مريضة بك... لدرجة أعجز فيها أن أنظر إلى عينيك وأنت تم
يدي، لدرجة تدفعني إلى البكاء حين تشدين عليها برفق، وكأن أص
تخبرني أنّك تحبيني، وأني أثيرة لديك، وأنّ نصف ابتسامتك ...
الدنيا.

مريضة بك لـ درجة أستشعر فيها كلّ تفاصيل احتضانك وأنف
لدرجة أني أجمع أنفاسك التي تتساقط عليّ... لأكون قادرة على
كلّ شيء حين أستيقظ منك.

اكتبي لي.

وتأتيني من ذاك الغياب الأسود الذي ابتلعك.

أشبه بـ نور، تملي عليّ حديثي المرهق القادم بصوت الراحلين الرخيم. وكأنّ الحديث للأموات، والحزانى، والأصدقاء البعيدين. انتهاء محض!

وأشعر بالمرارة. لأنك كنت جميلاً جميلاً جداً، كصوت عذب اعتيادي، يمسّ قلبك فتودّ بعد أن ينهي حديثه أن تغمض عينيك أو تضع يديك على أذنيك وتمضي، كـ عمر جميل لم أعد أرغب في العيش عمراً آخر بعده!

- اكتبي لي.

- عن ماذا؟!

- عن الموت، عن الهزائم وخيبات الأصدقاء، عن الدهشة، والسماء والمطر. كلّ شيء، فقط اكتبي!

ذلك لأنا اعتدنا الجفاف، ولأنّ الأشياء لم تكن يوماً برداً وسلاماً!

لأني أقف على عتبته، وأراه، ولا يريدون تصديق أني أستطيع رؤيته بل أني ألفتُ وجهه»..

لأنّ كلّ الأشياء الصغيرة المستفزّة، التي تدفعني للجنون و المحبّب وحتى الصراخ، الأشياء التي تجعل أطرافي باردة، موجوع بـ لذّة! كلّ تلك الأشياء مرتبطة بك. وكلها تعود من وتتكون لك!

حتى أولئك الذين أتقاطع معهم، أدرك فيما بعد أنهم كانوا أصدقا، في حياة أخرى.

اليوم أريد أن أكتب لـ أصدقائي، رسائل مقننة أدسها من أبوبابهم، في قلوبهم، فوق أحزانهم تماماً.

أصدقائي الذين تقاطع معهم الموت كثيراً، منذ الفرح الأخير اللحظة الأخيرة التي ابتسمنا فيها معاً، وأضاء الكون بلون البنفسج

أولئك الأصدقاء الذين فرشوا أمامهم خرائط كبيرة، مدوا أيديهم بـ ووضعوا قلبهم تماماً حيث كنت، حزينة في عمرٍ مضى!

أصدقائي الذين حين يحدثونني. أسمع البكاء الثقيل كحجر يتـ في جيوبهم، وأرى الحزن يطل من ياقاتهم! رغم أنه مضى عمر على الموت الذي تعثر بنا!

تعرفين كيف يغدو الشعور حين تتوهين في هذا العالم المـ للآمال؟!

أنا لا أدرك سوى أنّي كبرت لـ درجة مقيتة، وأنّي أضع قدمي على ... خشبية عتيقة، باهتة وبأنّ شيئاً ما مرّ من أمامي مسرعاً مسرعاً لـ تطاير معه شعري، وشعرت بالوجع في قلبي. . شيئاً ربما كان عمري!

• الآن سأخبرك بأمر. لأنّ حديث العمر بيننا متعب!

أنا خائفة، وحزينة، وقلقة جداً من حزنك القادم! من حزنك الذي
خيله وأدرك جيداً بأنه سيأتي. ولا أدرك أيهما أكثر أنانية! أن أعتذر
لك مسبقاً عن حزن لن يكون لي يدٌ فيه، أم أني أتمنى في سرّي أن
حدث ويوجعك بينما لا نزال أصدقاء، «ربّما لأني سأضع يدي في
هك حتى تبتسمين من جديد، وإن سرق ذلك الحزن عمري الآخر».

ليصبح موتي مدهشاً!

ـ تعال يا صاحبي نلوّن الطريق المؤدّية إلى الموت

ـ هكذا يصبح موتي مدهشاً.. عانقيني!

أو هكذا «يظنّ»!

الآن بعد أن أصبح صاحبنا قريباً من الله «أو هكذا يظنّ» انقشعت الغشاوة عن عينيه وسقطت بين يديه، ليست الغشاوة التي تمنعه من الرؤية! تلك الغشاوة التي كانت تحرمه بوحشية من البكاء

ذلك اليوم. بكى عمره المهدر على بقع الضوء التي كان يتسوّل الحبّ تحتها ويحيك لقلبه ما يواري سوأته، بكاؤه كان مواتياً للنور الذي تسلل لعينيه دون أن يدرك أن ليله قد ولى، وأن النور «والنور فقط» يغشاه الآن. نور أبيض لدرجة أنه سيغمض عينيه البنيتين دون شعور منه أبيض لدرجة أنه لن يقدر عليه!

المثير للشفقة أنه كان يخبئ وجهه بين يديه ويبكي، لم يدرك أنه سجين، لم يدرك أنه متورط بهذا الظلام وحده! وألا أحد يسمع ذلك البكاء أو يكترث به

لم يدرك أن أصحابه غابوا في أحد البقع التي غشيها الظلام، أو أنهم تبدلوا، أنّ الموت أخذهم منه. كلّ الذي كان يدركه أن ليس ثمة أصحاب في قلبه، ليس ثمة وجوه يمكنك الاحتفاظ بها من طفولتك حتى تشيخ ويتجعّد وجهك، لتخرجها وتنظر إليها كلّما قضم

منك الحزن، فتخرجُ لكَ قلبها وتدسّه في صدرك ليس ثم
هكذا!

حتى النور الذي يغشاه الآن، يختلف. لم يدرك أنها حياة أخر
ربما موت آخر»، ذلك أنه لم يشأ أن يسيء الظنّ بظنه. لم يشأ
المطر الذي تساقط على قلبه من حيث لا يعلم، الصوت العميق
يخبره بأنه سيصبح له أصدقاء في الجنة. غير أولئك الذين غابوا

* صاحبنا آنف الذكر، بعد أن أتمم غسل قلبه «أو هكذا يظنّ»
حفرة عميقة تحت صندوق رسائله، ونام. إلا أن الرسائل ظلت
على رأسه!

قلبك مطر*

ماذا تفعلين بالرسائل التي أبعثها إليك؟!

لعلّك تعين جيداً كيف أن قلبي متعب كثيراً بطريقة لا يدرك مداها قلبك صغير، كيف أنه غدا أشبه بـ ماء!

كيف أني أحمله بين يديّ بـ تعب لئلا ينسكب ببساطة، لئلا يختفي! لا أخرج من دائرة الإنسانية الضحلة المعللة بـ تلك المضغة!

بين أن أكون «إنساناً» له قلب، أو أن أكون مجرّد ماء. هو أن يضيق هذا القلب! ألا أجد فيه متسعاً لـ أزفر الهواء دون أن أوذي نفسي. دون أن أحبس الأشياء الدخانية فيه دون أن أختنق، دون أن أشهق شيئاً بعث على الفرح من قلب أحدهم دون أن تتبخر ابتسامته هو الآخر!

صاحبك بعد أن ينهي كتابة الرسائل علي راحة يديه. يجمع كفّيه يمدهما أمامه، بصره معلق على القلب الذي بين يديه.

هو يعلم جيداً أنه يجب ألا يخسر ماءه!

أسوأ من أن يكون قلبك مجرّد ماء، وتخونك السماء وتمطر وقلبك عار. هو أن يمررّ الغرباء يدهم في قلبك! هو أن يتشابه عليك البلل،

فلا تعود قادراً علي التمييز بين الماء النورانيّ والماء المشبع بالتعـ
يضيع منك قلبك في حياة يتساقط فيها المطر أن تغرق «بكاءً
الكلمة»!

كلّ يد بشريّة امتدت إليه في تلك الحياة، كانت أشبه بحجارة يلا
على ذلك الماء. بدت الطرقات مزدحمة، بدت الأيدي مؤذية إلى
الذي صار يشهق فيه دون أن يدرك أنّه لم يعد إنساناً!

* الآن يدك تمتدّ إلي تتحسس التجاعيد التي أحدثها البك
يديّ، وتخبرينني: قلبك مطر!

من أجل سارة،

لقد كان بالإمكان أن تعبر إحدانا إلى حنين الأخرى، كان بالإمكان أن
كون مجرّد «أصدقاء جداً». لقد كان بالإمكان أن أفعل أي شيء، إلا
أكتبك!

قالت لي آنذاك: أيامك القادمة ستكون أزقة ضيقة!

وسألتني صديقتي. كيف سيكون العمر حين تضيق بك الكلمات؟!

ولما استيقظت صباحاً لأخبرها عن حلمي الأخضر، الذي أخبرتني فيه
رأة غريبة بأني سأعجز عن الكلام، تكوّم الحديث في فمي. وعجزت
ن النطق!

● الأصوات التي ألِفناها لا تدفعنا للبكاء،

وإنك أحد أشيائي الحلوة القليل*

سيعبر يوماً بجانب التماثيل التي صنعتيها، ولن يميزها «ر ... تشبهك كثيراً»!

هم رحلوا يا صديقة، عبرونا إلى أناس آخرين، إلى وجوه غريبة، إلى مدن بعيدة يرهقنا السفر إليها!

نحن الآن بالنسبة لهم الماضي «الذي نصلّي لأجل أن ... جميلاً»، والحنين الذي يشعرون به دون أن يكلفوا أنفسهم ... الالتفات إليه!

نحن الآن مجرّد أنصاف حيوات، تبحث عن أرواح تشابه تما ... التي رحلت، إلا في الغياب!

نتلمّس الأشياء الصغيرة التي تذكرنا بهم وندمن العيش من خلا ... نربط كلّ شيء بالحياة التي كانوا فيها بجانبنا، غير أنهم تخلوا ع ... كلّ شيء!

نتظاهر كثيراً بأننا بخير، والمفجع أن لا أحد منهم أدرك زيف ... الكذبة الطويلة!

عليك أن تخرجي للحياة وأن تنغمسي في النور، عليك أن تكوني ساحات الأجمل من أجلك فقط.

نسمعين يوماً صوتاً فيروزياً يغني من أجلك: أنا لـ حبيبي وحبيبي

؟

ك طيّبة يا ، وتستحقين أن تعيشي حياة جميلة.

صلباً كحجر!

الآن أدس يدي في جيبي وأقسم أني ألمسه. بارداً، رمادياً. ا
كحجر

أن تعجز تماماً عن الرؤية، أن تلمس قلب أحدهم مجرّداً ولا
النبض فيه، أن تراهم من السماء لا يعني بالضرورة أنك ميت!

صديقتي التي غيّبتها الدنيا أخبرتني أنّ الموت موجع، موجع ،
أنه لن يمر بجانبك ببساطة، لن يعبر! لدرجة أنه يخلّف دوماً
آخرين يرتكبون الحياة.

صديقتي التي أدركت بأنّ موت الأشياء الجميلة عبر بالقرب
كانت تبتسم ابتسامات باردة كلما رأتني أغصّ ببكاء مرّ أخبنه حـ
نفسي كانت ترسل لي أغنيات جميلة في الصباح، كانت تجمع
وتضع فيهما قطع زمرّد صغيرة، وتنفخها في روحي

صديقتي التي رحلت عنها «لأنها لم تعد تجعلني أحزن»
أني ميتة أصلاً!

الآن أشعر بالخفة، الخفة التي تقودك نحو السماء رغم إرادتك.

ـوت الذي يجرّك معه إلى مكان لا تعرفه ووجوه لا تألفها! الموت ـي يتآمر بخبث مع الأشياء السيئة فيك، ويلقي بك لـ تكون بينهم، ـك وتمارس الحياة كما يريدون! أنت تعيش قسراً، وميت رغماً عنك.

وعليك أن تدرك أن موتك «رغم بشاعته»، أجمل ما حدث لحياتك ـسة!

الآن أدركت أن أنصاف الأصدقاء يبثون فيك حياة أكبر من تلك التي ـل الأصدقاء الحقيقيين،

الآن يا صديقة، أرى جيداً الطرق المؤدية إلى الموت!

ظللت أحبس البكاء عنك حتى جفّ السواد في عيني

أقسم أني حين أسير بينهم، أكاد ألمحك تتساقط مني. ميتاً!

ولم يتبق في جيبي إلا الكثير من الحنين، الحنين لأشياء بالسحر لشدة ما كانت أبوابي الصغيرة السرية إلى دنيا جميلة للسنين التي تسللتها عبوراً إلى تلك الأبواب، للشعور الباقي في فم أن انتهى كلّ شيء! وكأن كل ذلك العمر كان قطعة شوكولا فاخرة في فمي. لا أكثر!

أنا عصفورتك التي كنت تخبئها عن الشتاء، التي كنت تم بأصابعك وتطعمها الأمل من يديك، كلّ ما في الأمر أن تلك العص اعتادت عليك، كلّ ما في الأمر أنها تشعر بالبرد، أنها مجروحة أحد يرى بكاء العصافير!

لم أكن «حين كنت أتسلل لجنتك الصغيرة» لأظنّ أن كلّ سينتهي، لم أحسب أنّ الأشياء الجميلة قد تكون وهماً لا أكثر أظن أن الحياة قد تمنحنا مفاتيح الأبواب الجميلة لأننا طيبون مع دون مقابل!

أنت لم ترحل عني! «أقله لم تفعل بالمعنى الكلاسيكي»
لم تسر مبتعداً عني وأنا مشدوهة أخبئ شهقاتي عن لا أحد!
أنت فقط لم تأت إلي، لم تأت في الوقت الذي كنت أنتظر وعودك أن
طر عليّ. والآن انتهى الشتاء وأدركت أنك لن تأتي! أدركت أنك
حل. هكذا ببساطة، وبقسوة أيضاً!

تمنيت لو كان رحيلك كلاسيكياً للغاية، لو أنك التفت إلي في آخر
لوة لك، لو أنك نظرت إلى عينيّ واستشعرت الغصة في قلبي، لو
في قلبك شيء صغير من أجلي. لـ ربما كانت الأشياء أجمل مما
عليه الآن!

أنت حتى لم تمنحني تلك الأشياء الأخيرة، أنا الآن أشعر بالموت دون
مبرر «حتى بالنسبة لي»!

الآن أصبحت أستحث ذاكرتي كثيراً لأستطيع الحديث عنك. الآن
الذي كان بيننا أشعر به كضباب، أدركت أني لن أشفى منك ولو بعد
ن، ذلك أن الإنسان لا يشفى من ذاكرته، لا ينسلخ من روحه. ولأن
حين سقطت بي من الدنيا، تمزّق قلبي الصغير!

لا تحاول بعد كل شيء أن تلقي علي وعداً آخر يسقط على قلبي
ارغ!

ماذا أفعل بالمواثيق التي سكبتها في أذني طوال عمرنا معاً؟!

ماذا أصنع بالعمر الجميل الذي رسمته لنا في مخيلتي؟!

ماذا أدس في أفواههم حين يتحدثون عني؟! وعنك؟! وعما بيننا؟!

ماذا أقول للموت حين يأتيني على هيئتك؟!

أنه لم يتخلّ عني لأجل أنثى أخرى!! هو تركني من أجل لا شيء

كأنها تُنتزع،

هو فقط يشعر بأن دمه أصبح بارداً!

هو فقط يقف ويمدّ يده فتخرج بيضاء. يجرها أبعد ما يكون عن
وجهه المرتعب، وينظر إليها وهو يفكر في أيهما سيكون أسوأ؟! أن
يكون ميتاً؟! أو أن يكون هذا أحد الأحلام النورانية التي يراها كثيراً
مؤخراً؟!

هو فقط يجمع الهواء المحيط برئتيه، يملؤ به صدره، وينحني لـ ينفخه
أمام قلبها الذي يشعر بالخوف.

يظنّ أنّ التنصّل من الموت قد يصبح بهذه السهولة!

الكثير من الأشياء هنا باردة. لدرجة أنّ الحياة تبدو كأنها راحلة من
قلوبهم عمّا قريب، أو كأنهم عائدون من الموت، أو ربّما كأن أحدهم
يحاول أن يمنح حياته للآخر، لأن حياته لا تليق به، ولا تروقه! لأنّ كلّ
الحيوات لا تكون مكتملة إلا بالأشياء الصغيرة التي يمنحها أحدهم للآخر
«ولو عن طريق الصدفة»

لأن ثمّة وجه تراه جيداً «وإن كنت أعمى»، ولأن أحدهم لا يزال قلبك
معه.. لأنّ أحدهم سينظر إليك يوماً ما وينفخ في صدرك أعياداً كثيرة..

كلّ المارّين هنا يحملون نفس الملامح، نفس الذاكرة، نفس الأ
ونفس القلب، كلهم لا يدركون وجع أن يموت صديقك أما
يرحل من خلال موت مخيّر تصنعه لنفسك ثمّ لا تستطيع الر
الحياة! كأنّك تلمس الحياة من خلال زجاج سميك غاية في الـ
كأنك تنادي أولئك الأصدقاء ولا أحد منهم يلتفت، لا أحـ
يسمعك!

حتى إذا ما أدركت أن بينك وبينهم برزخاً، مددت يدك فإذا هـ
متجمد أطرافها!

من المثير للسخرية أن لا تزال تموت بينما أنت ميت أصلاً!
ترى الكوابيس وتستيقظ فزعاً من نومك، أن تشعر بالبرد، أن
الحنين، أن تبكي!

كلّهم أنظر لهم في «حياة» من خلال ذلك الزجاج، لا أحد منهم
لي / لا أحد منهم يغضّ الطرف عن سوأة حزني! وتغرق عيني وأ
بحديث لهم: أنتم لا تفهمون!

لـم التقينا الآن؟!

بعد أن انكسرنا على ألف عكاز، بعد أن وطأنا ألف قلب،
تكدست فينا ألف ذاكرة؟!

لـم عادت كلّ الأشياء مرة واحدة؟! في الوقت الذي ظننا فيه بأ
وأنا نجونا من الغرق في الأغنيات والرسائل والأشياء المجنونة!

لن أخبر أحداً بأني لا أزال أحبّك أكثر من أي شيء، لن أخبره
في كلّ عيد أخبئ لك شيئاً من قلبي، شيئاً ليس من حق غيرك

الفرح! لن أخبرهم بأني كلّ شتاء أجمع الغيم وأكدّسه عند شباكي.
انتظر عصفوراً فيروزياً يتكون ليصبح طائراً صباحياً من أجلي، لن
أخبرهم عن الموت المخيّر، وعن الرحيل الكلاسيكي، والحزن العتيق!
كلهم لا يفهمون يا صديقي!

لا يصلح لشيء، حتى للتمنّي.

في حياةٍ كنتُ فيها صغيرة جداً، للدرجة التي أستطيع فيها رؤية ...م حين ترفعني أمي كنت أحتفظُ بصندوق أمنياتٍ معدني ورديّ أخبرتني صديقتي أن أخبئ فيه أمنياتي وأدفنها لتتحقق وكنت أرى ..ا يسطع بألوان أخرى «غير البياض». ولم يصدقني أحد!

لم أكن أدرك وقتها أنّ النجوم لا تحمل ألواناً، وأنّ الأمنيات تتحقق بالضرورة لمجرّد أنها أمنيات. لم أكن أدرك أيضا أمنياتي كان نبؤة سيئة لما يمكنُ أن يحدث!

في تلك الحياة. كنت أظنّ أنّ كلّ الحديث الذي تنتظره من أص سيأتيك في بريدٍ أنيقٍ يحمل رائحتهم، بريد يدسّه أحدهم تحت بابك يبتسم، كنتُ أظن أنّ أولئك الذين يملكونَ أنوفاً حمراء ويلعبون با بمهارة لا يمكن أن يبكوا أو حتى يشعروا بالحزن!

كنتُ أظنّ أن الموت لن يعبر مني قريباً جداً هكذا، ولن يجرح يخيفني لأنه يلمس أطراف قلبي! وأني لن أعجز عن النوم يوما أخاف أن أستيقظ وأدرك أنّ الموت كان هنا!

في حياةٍ أخرى لم أر تلك الرسائل التي تنزلق من تحت

يخبرني أن أحدهم لا زالَ يتذكرني! لم أصادف حتى رسائلَ تحمل شيئاً منهم!

رايتُ أحدهم تغرقُ عيناه، ويذوبُ أنفه الأحمر من البكاء. رأيت الموت أقرب إليّ من حبل الوريد. الموت الذي يأخذك كلّ مرة بيدك إلى حيث كنت، الموت الذي يجعلني أحاولُ بتعبٍ رفع قدميَّ في حفرة عميقة من الطين اللزج، فأغرقُ فيه في النهاية مهما فعلت!

الآن أحتاجُ إيماناً عميقاً لأدفن أمنياتي. لأرفع قلبي وأخبره: أنا ضعيفةٌ يا الله! أحتاج لأن أتنفس، أحتاج لـ حياةٍ جميلة!

أحتاجُ لأصدقاء يمسكون يدي. أحتاج صوتاً يخبرني كلّ صباح بأنّ الأشياء التي أخشاها ستتبخر / ستموت، صوتاً يزرع فيني يقيناً بأني سأكون بخير بأني لن أختنق ببكاء لا يلون أنفه!

أشعر بالبرد يا الله، وأنتفض حين أسمع حديثك. أحتاج أن تزرع في قلبي طمأنينة لا تجعلني «في كلّ مرة يمرّ فيها الموت قريباً مني» أردد في داخلي: وأنا يا ربّي؟!!

أحتاج لأمنياتٍ لا أضطر لنبشها من قبرها بعدَ عام!

أسوأ ما في العمرِ أنه يبدو أكثر زيفاً كلّ عام. انّ كلّ الأشياء التي كنت تعتمد عليها تصبح هشّة! حتى الذي كنت تعلم أنه هشّ من الأساس يصبح لا شيء!

أسوأ ما في الطفولة أنهم يخبرونك أن الحياة وردية، وأنّ أحلامك التي

تلفها في صندوق وتدفنها ستنمو كـ شجرةٍ توت وسوف تستلذ بثما

هم يخبرونك أنّ الأعياد هي قطع فرحٍ استثنائية جداً! وأنّ الشـ يحتاجُ أكثر من قطعة ملابس إضافية لتبقيك دافئاً. يخبرونك كلّ كلّ الأشياء ستكون بخير كلّها!

وأنت تقف على أصابع قدميك، تفتح فمك الصغير مبهوراً بتلك التي يتحدثون عنها. ترفع نفسك حتى تطلّ على الدنيا اللذيذة التي قطع الجنّة!

وما إن تكبر حتى تكون قادراً على رؤيتها من خلال عينيك. أن الطفولةَ شيءٌ مقيت! وأنك صرتَ مشوهاً بعد أن كبرت! وأن انطفأ، وأن كلّ الأشياء سيئة في هذه الدينا. ليس كما أخبروك!

سيأتي الشتاء وأنتَ ترتجف، ستشعرُ بأنك فارغ من الداخل، قلبك جرحاً بحجم يدِ أحدهم. يدٍ لن تمتدّ إليك على أية حال!

ستدرك أن الغصّة المجنونة التي يحدثها دسّ يد صديق في يدك هي إلا قطعة توت من المفترض أن تستلذّ بها لا أن تشعر بالوجع

سترى ذات صباحٍ باردٍ أن صندوق أحلامك الوردي أصبح «بعـ هذا العمر» صدئاً لا يصلح لشيء، حتى للتمنّي.

Paula

جرّب أن تكون مصاباً بالخفّة لـ درجة تستطيع الوقوف فيها على
[illegible]اء.

جرّب أن تعبر فوق الدنيا دون أن يشعر بك أحد، دون أن يثير شيء ما
[illegible]رنك، دون أن تمارس الحياة على أنها حياةٌ مطلقة!

جرّب أن تموت أحياناً، أن تسقط من مكان غاية في العلو وتبتسم
[illegible]لاهة!

[illegible] أن تفقد أشياءك الثمينة ويمضي يومك كأي يوم اعتيادي آخر!

جرّب أن يموت أصدقاؤك وتقف في جنازتهم تحدق في لا شيء!

جرّب أن تموت أحلامك واحداً تلو الآخر / أن تختنق / أن تخرج من
الحياة. وكأن شيئاً لم يكن!

جرّب أن ترتدي حنيناً لا يخصّك. أن تفتعل فرحاً لا يعنيك، أن
[illegible]لع غصّة توجعك.

جرّب أن تخبئ حزنك عن الأصدقاء، أن تلبس قلب أحدهم
والمضي. أن تمارس الأشياء الحميمة وكأنها ليست لك!

جرّب أن يغافلك الوجع كلّ شتاء، ثم تنتظره العام القادم بـ شغف!

جرّب أن يخونك نوفمبر كلّ عام، ورغم ذلك تحتفي به الشمع المرصوص بعناية على كعكة شوكولا صغيرة، وتطلق أمـ معنى لها، وحدك من بينهم تدرك أن لا معنى لها. لأنهم «الباقـ زالوا أطفالاً يعلقون الأمل قلائد على أعناقهم، ويظنون أنّ الحياة كفاية لـ تسقط معجزة على حزنهم وتشفيه.

جرّب أن ترغب في أن تخلق لأحدهم فرحاً يليق به. فلا تقدر

جرّب أن تحتضن طفلتك البعيدة، التي أصبحت أكثر جمالاً ود التي صارت الأشياء الجميلة فيها تمتدّ حتى تلمس أطراف يدك فـ أن الشتاء استوطنك وهي ليست هنا!

جرّب أن تسمع ضحكتها الشفافة وتخفي عنها صوت بكائك!

جرّب أن تغمض عينيك، وعينيها، وتحتضنها وتغني بـ وتغصّ بعبرتك لأنك لا تستطيع إخبارها بأنك تحبها كثيراً، الأشياء ستكون بخير

أشتهي. كلماتنا الصغرى،

أحدهم ينفخ الشتاء في صدركِ قبل موعده. يسرقكِ للبرد، إلى ذاكرة [illegible]ت ملكك «تماماً» في شتاء مضى، بكلّ تفاصيلها المتقنة للظهور، [illegible]لعاشة الصوت الذي يشعر بأنه يتجمّد، بالأغنيات التي تصل من مكانٍ [illegible]د، بنشوة الكوب الدافئ بين يديكِ. وانت تجذبين أكمامك لتختبئي [illegible]ن إسقاطات الذاكرة!

[illegible]في الصباح الذي كان صديقٌ ما يحاول فيه الوقوف دون أن «ينتظر» [illegible].

[illegible]ذلك الصباح الذي أدرَكَ فيه. بعد أن رأى قلبه يتساقط أمامه، أنه لا [illegible]در به أن يضع قلبه بين أيديهم «أو حتى تحت أقدامهم» قبل سقوطهم [illegible]ضة، وأن عليه أن يحبّه كثيراً، كما تفعل هي.

[illegible]المثير للحزن حقاً أن سقوط الأشياء من قلبه جعله غير قادرٍ على [illegible]ية! وحين التقى بالصديق الآخر، الصديق الوحيد المتبقي ليحبه على [illegible]ه الأرض. لم يدرك أنه هو الآخر وحيد أيضاً، وأنه يكون أكثر حزناً [illegible] الأيام الباردة!

لم يكن يدرك أنه يحبّ وحدته لهذه الدرجة، وأنه اعتاد عليها حتى

صار يخبئ نفسه عن الأصدقاء، وأنه يخاف أن يخسر النبض الأخي
يعرفه من قلبه. يخاف أن يعرف صديقاً يغير فيه حزناً ما، فيعو
حتى على نفسه!

هو فقط يخاف كثيراً أن يخذله صديق، يخاف أن يراه يبتعد ...
أخرى تكون إلى الغياب أقرب. يخشى أن يبدو بتلك الهشاشة
نفسه وأمام صديقه. ليقدم له «في كلّ مرة يشعر به قاب غيابين أو
كوب قهوة وأغنية بصوت جرّحه البرد، وحتى قطعة من قلبه
الأمر!

ربّما نحتاج لأكثر من صباح بارد، وقلب موجوع، ورائحة ...،
ومطر لنخبر صديقاً غريباً عنا بأننا نشعر بالوحدة!

نحتاج لأكثر من ابتسامة غائبة، وأخرى تشبهها، ليحتضننا أحده.
ونظلّ نشعر بالدفء حتى بعد أن يبتعد، ويمر من خلالنا هواء غا
البرودة. يخبرنا بسخرية أن كلّ الأشياء في القلب ضبابية ليس
وأننا لا نملك من الحبّ ما يكفينا حتى الغد!

* يا صديقة الخيبات لا زلت أتذكر «تماماً» أين وضعت
حين احتضنتك.

5 October

يحدث أن تمتلئ ثقوب الذاكرة بأغنيات أخرى غير التي اعتدنا
استيقاظ عليها، بصوتٍ آخر مختلف. حتى يستحيل الصوت في
لأغنيات القديمة شيئاً أقرب للحلم، يداعب آذاننا فقط حين ندرك بأننا
نتاج الحنين أكثر من أي شيء آخر!

هي يعقل أن أشفى منك؟! بعد كلّ الذي حدث بعد أن أحببتني
هراً، وأهديتني ذاكرتك المعطوبة، وحزنك اللذيذ، وقطع الدنيا
صغيرة!

ماذا لو كنت شفيت منك حقاً؟! واستطعت أن أكون حزينة دون أن
شبهك تماماً، هل تبقى في قلبي مساحة للدهشة بصباحات مختلفة
نك؟! وروائح وذكريات جديدة لا تشبه التي اعتدتها؟!

جزء من إنسانية البشر أن قلوبهم قادرة على الانقسام وخلق مساحة
جديدة. في كلّ مرة يمارس أحدهم فيها «الغياب» أياً كان نوعه!

جزء من إنسانيتهم أنهم من خلال كلّ أغنية يشعرون فيها بالوحدة،
يمارسون شيئاً من النسيان أو ربما اللوم. لخلق مساحة جديدة في
قلوبهم، مساحة خالية من الوجع أو الاحتياج في الوقت الذي

نتذرع فيه بأننا أوفياء، أو أننا نشعر بالحزن على أشخاص اخترنا خـ
أو «فقدان الدهشة تجاههم» بمحض إرادتنا!

* لو كنت أملك القدرة على قراءة باقي أكوابك، كيف سيكون ١٠
الصباح بك؟! «باستثناء أنه استثنائي». .

تشرين ،

مجرّد القدرة على تعليق الأمنيات الصباحية على شباكك، يعتمد على يقينك بوجود «يد» تمتد للسمآء من خلال إحساسها بك / بحاجتك لـ يقين ما. يقين يبقيك مبتسماً ليوم آخر، يجعلك تشعر بأنك بخير «وجداً» لصبآح قادم.

هناك أشخاص حين يتواجدون في صباحك. فإنّ كلّ ما يحدث هو أن كلّ الأشيآء تقع في دائرة اللذة الخالصة بالنسبة لك، يحدث فقط.
أن كلّ الأشياء بقربهم [جمآل] ليس إلاّ

هناك قلوب تتحول الصباحات بقربها لـ «جنّة» بالمعنى الحرفي. .

كلمة!

أبحث عن كلمةٍ كبيرة يا الله،

كلمةٍ حين تسمعها صديقتي البعيدة. تدرك كلّ ما أريد قوله لها، أن تجزع، دون أن تقلق، دون أن توبخني على حزنٍ أكبر من طد، البيضاء معاً!

كلمةٍ حين أفتح شبّاك أمنياتي ويتحول قلبي إلى غيمة. ترتد، أكثر قليلاً دون أن أسقط، دون أن أتجرع خسائري الأخيرة أكـ ذلك!

كلمةٍ حين تمطر السماء، وحين تسقطُ نجمةٌ ما، وحين تحتد صديقة. أستطيع «رغم الدهشة» لفظها قبل أن تنتهي الأشياء الـ حولي!

كلمة أقولها قبل أن يسقط قلبي على الأرض، قبل أن يضيع ويتبدد الحلم، وتعود كلّ الأشياء كما كانت!

كلمة حين أهمس بها في أذن صديقتي، تدرك جيداً أني أشعر حين تمتد إليّ. أعلم أنها يدها «وإن كانت كلّ الأشياء غاية في الظا...

كلمة أستطيع دسها في الرسائل، في الأشياء التي سأحكيها لهم، في الأسرار المخبئة فينا، في الأعياد والمآتم والأفراح المزيفة!

كلمة حين أقولها لا أبدو كصبية تتحدث كثيراً، وفي الصباحات التي لا تملك ألواناً: تخبر المارّة الذين يحملون أكواب القهوة أنها حزينة!

كلمةٌ كبيرةٌ جداً يا ربّي.

كلّ عام وأنتَ عيدي

* يمكنكِ أن تثقي بقدرة الوقت على الشفاء، إن لم تثقي بالناس

وكان أن صدّقتكَ وعلّقت قلادة على عنق الأعياد. مهاودةً لـ... في وجعي، أو لتسكب عليّ شعوراً فيروزياً أقرب للنسيان. شعـ... أستطيع لمسه ولا إدراك «كيف يفترضُ بي أن أشعر»؟!

في الأعياد التي يجمع الناس كلّ الأشياء الباعثة على الفرح داخلهم. وينفقونها بتبذير!

وفي الأوقات التي أتعثر فيها بفرحٍ كبير كبيرٍ لدرجة أنه يرفعني الأرض «نشوة». أدركُ أنّ الوقت لم يكن يوماً كفيلاً بالشفا... بالنسيان، وأنّ الأشياء المعطوبة في داخلنا تحتاج الكثير من الأصدقاء الكثير من الأحضان الغير متفق عليها / الكثير من تذاكر العودة / الكثير من البوح الشفاف.

وفي كلّ مرّة أقف على حافة الفرح، وتكاد تنزلق قدمي وأسقط عن الإنسانيّ أتذكّر أنك أخبرتني أنّ الوقت كفيلٌ بأن يجعلني سعيدة أن أضطر لإحداث ثقبٍ في قلبي وإخراج الأشياء السيئة منه»..

اخبرتني بأنّ الثقل في صدري سيزول، وبأنّ كلّ الأشياء ستكون بخير. فأتراجع خطوة إلى الوراء!

أخاف السقوط وإن كان إلى فرح. أخاف أن تنزلق قدمي والناس الذين أحبهم في الأعلى، أخاف ألا أعرف كيف أكون سعيدةً جداً!

ولأنها مواسم الفرح كما يظنون، ولأني أستطيع رؤيتك ولمسك من خلال الأشياء التي تظنها ميتة، وأظنّ أني أتنفسها. ولأني أحبّك كثيراً: سأدسّ في يدي الباردة رسالة تطمئنك بأنّ الموت لا زال أجمل، وبأنّ هذا العيد باهتٌ لا يستحق عناء أن توجع رئتيك محاولاً التنفس / محاولاً أن تكون واقفاً بين كلّ الوجوه التي ألمحها ذلك اليوم!

سأخبرك بأشياء كثيرة.

بأشياء لن تصل آذانهم! ربّما الدنيا أصابتهم بالصمم، أو أنها أصابتني بالخرس حتى صرت أتوهم أني أستطيع الحديث دون أن يمرّ من خلالهم ولا يشعرون به! دون أن يتكوم الحديث في حلقي دون أن يلتفتوا! دون أن يستحيل كلّ ما أحكيه ضباباً!

وحدك سترتطم بك كلّ الأشياء التي أحدّثك بها فجر العيد: أنّي لا أملك يقيناً يمكنني من النظر في أعينهم وخلع قلبي وإفراغه من الوجع، ثم إعادته حيث كان!

وسأخبرك بأنّ كلّ الأصدقاء ساخطين على الحزن الذي أشعر به مؤخراً كثيراً جداً، وأنهم «رغم ذلك» لن يجدوا في أعيادهم مساحة لإرضاء الطفل اليتيم في قلبي! لن يجدوا الوقت ليعرفوا ما إذا كنت لا أزال أتنفس!

كلهم ساخطون على حزني وبعيدون. . . . إلا أنتَ!

وأكثر،

لأنّي هكذا. عصيّة على الكثير من الأشياء،

أخاف خسارة أشيائي الصغيرة، أخبّئها حيثُ أظنّ أنّ الدنيا حين سيئة وتريد إغضابي أنّها لن تطالها!
أخبّئ كلّ الأشياء بحرص. وأنسى قلبي مكشوفاً / مجرّداً كسخريةٍ كبرى للحياة بأنكِ لن تؤذيني «على الأقلّ أكثر مما فعلتِ»!
في داخلي انكسارات لكنّي «بطريقة ما» أستلذّ بها.
وحولي أكتاف تسندني «أحياناً» وتنسى أحيان أخرى! ورغم ذا فاعتيادي على السقوط أكبر من اعتيادي على الاطمئنان!
معطوبةٌ أنا أيتها الدنيا، وعاجزةٌ عن الحبّ أكثر من ذلك.
هكذا أنا، راضية بالحدّ الأدنى من التنفس!

الآن أملكُ الشجاعة الكافية لأخبئ الموتَ كأمنيةْ. أعلمُ جيداً ، ستكون بخيرٍ من دوني.

و. أحبّك كثير،

وصارتِ الذاكرة انتِ، والتعب انتِ، وصرت أنتِ القلب والروح.

لم يكنِ الغرق يوماً خياراً متاحاً بالنسبة لي!

إما أن أكتب لكِ ما يخدّر الإحساس بالوجع. الوجع الذي أحسه حين أنتظرك «وأنا ممتلئة باليقين بك» لأقرأ في عينيك / في صوتك نبؤة بأنك ستكونين قريبة ليومٍ آخر، يومٌ واحدٌ فقط. لأستطيع النوم دون أن أشعر بالوجع في قلبي، وأنا أعلم بأنّك ستكونين هنا صباح الغد.

او أن اغرق دون أن اؤذيك بأشياء لن تقرأيها كما أردت، بجنونٍ سيصلكِ مشوهاً على أية حال، ستقلقين كثيراً فقط. ولن تفهمي لـمَ اصبحتُ مؤخراً أخبئ الموت كأمنية،

اعلم أنكِ تشعرين أني لم أعد كما كنت!

أعلم أنكِ رأيت روحي تخرج مني، ولكن «السببِ ما» لم أكن أملك الجرأة الكافية لتوسّد الموت، فعادت لي روحي كرهاً

أنا الآن أتنفس يا صديقة. أتنفس لكن بنصف رئة، ونصف قلب، ونصف ذاكرة ونصف فرح!

أنا الآن معطوبةٌ لا أملك الكثير لا الأصدقاء ولا الـهـ
الأكتاف!

أملك فقط يقيني فيك، وصوت أمي، ورائحة المطر،
ابتسامات.

أعلم أنكِ ترين روحاً أخرى تبدلت تماماً، وعجنتني الخيبة ١٠٠
يمكنك تصوره!

وأنا الآن ألتقط نفساً وأتخاذل عن الآخر، وأبكي كلّ ليلةٍ يا صـ
وأشعر بأني حزينة أكثر من اللازم / قريبة من الانهيار أكثر مما يحـ
أقوى على الوقوف، والابتسام، والنظر في عيني أحدهم!

وكلّ ما أفكّر فيه هو أنني أخشى أن تريني عارية، أكره أن تري
دون غشاوة، أكره أن تدركي كم أنا موجوعة، وكم أنتظر منكِ لأشـ

أكره أن أرمقك بتلك النظرة التي تخبركِ بأني أعلّق عليك فرحاً
صديقة، وأكره حين أنتظر منكِ أن تهمسي لي بأغنية تجعلني أنسى
شيء. وأنام! فأظلّ أعجن بين يديّ خيالات صوتك، والأرق
أخاف عليك منه. حتى ينتهي ليلٌ ويبدأ آخر!

تعبت من السهر يا صديقة، من الأرق، من الوجع. تعبتُ مـ
ومن الأغنيات التي لا تجعلني أنام!

أكره أن أخبرك بأني حزينة جداً لأنّ الأعياد باتت قريبة، وأنّ علي
أبكي! وأني لم أنو الفرح أصلاً، ولن أتكبد عناء تشكيل ملامح و
ليظنوا أني بخير أنا ميتة ولا يجدر بي أن أبتسم حتى!

أكره أن أتحدث إليك كثيراً جداً، ورغم ذلك لا أستطيع إخبارك

أشعر، ولا ما الذي أحتاج إليه، ولا أستطيع أن أعترف لك بأنّ الأيام الخالية منكِ ما هي إلا مقابر للذاكرة، وأن انتظاري لك يصنع في قلبي غصّة كبيرة، وأختنق!

أكره أن أطلب منك أن تكوني قريبة، قريبة، قريبة. أخاف أن يمسّكِ الوجع أو أن أؤذيكِ أكثر مما فعلت!

* خبّئيها حتى أكون بخيرٍ تماماً، أو غاية في الموت. . .

حزيران،

ونزرعُ في حزيرانَ شجرةَ حزنٍ طريّة،

ونلتقي خلف جدران الأشياء التي لا تملك آذاناً / نختبئُ حتى
أنفسنا ونتفقُ بصمتٍ على أن نعصر قلوبنا ونخرجَ كلّ الحزن بداخل
نحضن أنفسنا ولا يجعلنا ذلك إلا أقلّ قدرةً على التنفس.
للأشياءِ آذانٌ قبل أن نتخلص من أحزاننا، وقبل أن نملك الجرأة
لمس قلبٍ ليّن مليء بالبكاء!

، حزيرانَ الآخرْ

لم تذبلْ شجرةُ الحزن لكنها «ولسبب ما» ماتتْ!

ونما بدلاً منها شجرةٌ أخرى جذورها أعمق، وتبدو أكبرَ وربّما
عمراً. لكني لا أكترث، لأني أريدُ شجرتي الصغيرةَ الأولى!

بإنسانيّة بحتة. نعلّق الأشياء التي تعنينا على أغصان الشجر
وننتظر التاريخ لنحتفي بحبّ ما، أو بخيبة أو حنين. نعلّق تفاصيل
الروحية على رفوفِ التاريخ، بينما بإمكاننا أن نحزنَ كلّ يوم، ونحب
يوم، ونحتفلَ بأشيائنا الجميلة كلّ يوم! وكأننا غير قادرين على ارتكاب
جنونٍ ما في غير موعده..

حزيرانَ القادم.

تتخلل يدٌ أعرفها جيداً خصلاتِ شعري، أحسها تقترب من التعبِ
أكثر. وأبكي!

يدٌ تخبرني بأنها قريبةٌ كفاية لتمنعني من السقوط، تشعرني بأنّ في كفها
ملسع للقلبِ والروح.

واقفُ في حضن الهواء، أغمضُ عينيّ عن كلّ العيون التي تحدّق.
واخبر نفسي بأنّي قادرة على التنفس «أقلّه من خلالها».

For my darling

ولأنّي أكرهُ الرسائلَ المنطقية، وأكتبُ كلّ أشيائي مبتد

«و. .» وأنهيها ب فاصلة. وأكرهُ أن أبدأ حديثي إليكِ بـ

صديقتيْ. كأنّ كلّ الأشياءِ التي أخبركِ بها، والكلمات التي أدسها

جيبكِ خارج حديثي لك اليوم لا معنى لها!

قبلَ أنْ أعرفكِ لم أكنْ من الضعفِ لدرجة أسرق منك الأحلا

الصباحية المميزة، بـ بحّة الأحلامِ التي لا زالتْ معلقةً بين

وقلوبنا، بحرصكِ على أن يكون اليوم أجمل وألا تؤذيني الدنيا أكثر

فعلتْ!

قبلَ أنْ أعرفكِ لم أكنْ أشعرُ بالبرد، لم أكنْ أنتفضْ، ولم أكنْ

كثيراً!

لطالما أخبرتكِ أن الحزن والوجع. لا يعنيني بقدر ما يعني القا

القريبة مني. ثمة مهاودة بيني وبين الحزن: لا أشعرُ كباقي الناس

الفرح ضرورةٌ، وشعورٌ مغرٍ! أستطيعُ أنْ أشعرَ بالحزنِ وأكونَ بخير

الأمرُ المؤذي حقيقةً أن أشعر بالانكسار، أن أشعر بأنّي أضعف مـ

يخفقَ قلبي دونَ أن أتوجّع! يؤذيني حين يتطلّبُ مني مجرّد العيش أكثرَ مما أنا قادرةٌ عليه!

أشعرُ أني آذيتك كثيراً مؤخراً يا صديقة، ولم أجدْ طريقةً تليقُ بقلبكِ لأعتذرَ فيها عن كلّ حزنٍ كومتهُ في قلبي وأخرجتهُ أمامك، وعن كلّ بكاءٍ ربّما وصل إلى مسامعك «وربّما لا». وبما أنك لا تحبين الورد كثيراً، ولأني أكره الطرقَ التقليدية، وأكرهُ أن أعلّقَ اعتذاري إليكِ عن الحزنِ بِ أغنيةٌ. ولأن السماءَ تمطرُ كثيراً هذه الأيام، وأخافُ أن يعاقبني الله وأنا ساخطةٌ على هذا الوجع، وهذه الدنيا. ربما شعرتُ أنه يجب أن أكتبَ لكِ. أو لنقل: لدي رغبةٌ في أن أكتب لكِ.

أتعلمين يا روحُ؟! صرتُ أشعر أنّي معطوبة! غيرُ قابلةٍ للفرح، وغيرُ قادرةٍ على الحبّ.

أنتِ التي كنتُ «ولا زلت» آخذ كلّ الأشياءِ المجنونة التي تتفوهين بها على أنها أمورٌ مسلّمٌ بها. الآنَ بعدَ أنْ أصبحتْ الطرقُ المؤدية إليكِ غيرَ سالكة، والشوارعُ التي يتعلقُ في آخرها ضوءٌ ما تبدو بعيدةً جداً، لا أحتاجُ أن تقولي لي شيئاً، ولا أن تخبريني أن كلّ شيءٍ سيكونُ بخير، وأنّ الأشياءِ التي نخافها ستتلاشى، وبأنّك تحبيني، وبأنّك تكترثين، وبأنّي قويّة كفاية لأستمرّ في العيش!

فقط أحتاجُ أن تخبئيني عن الدنيا

، وأشعرُ بالخيبة. هل يمكنُ أن نكونَ أكثرَ انكساراً؟!

وأخاف أن تمطر الدنيا، ولست معي!

أن تكون الساعة السابعة صباحاً. لا يعني ذلك بالضرورة أنّ الن .. مشرقة!

حين وقفت مجرداً تحت المطر كان كلّ شيء حولي ينحني ، مع الهواء، إلا أنا!

زدركت بأنّي «رغم استقامتي لحظتها» قابل للانكسار أكثر من أي ، حولي.

يصعب علينا أن نغرق أنفسنا تحت المطر، وفي الـ وبالدمع.

ليس معنى ذلك أننا غير قابلين للبلل.

كلّ ما في الأمر أننا اعتدنا الجفاف لا أكثر!

يا روح.

ماذا يعني أن تمدّ يدك في فراغ عميق، في محاولة للتربيت على كتف صديق؟!

أن تقف أمام العمى المحيط بك تجاه كلّ الوجوه. وتتلمس الهواء باحثاً عن دمعة، دمعة تعرف صاحبها جيداً!

أن تخشى التربيت على الكتف الخطأ، تعجز عن مواساة الوجع الذي يحتاج حقاً لـ اللمس ورغم ذلك: تمدّ يدك!

لـ فرط الحزن تخرج يدك فلا تكاد تراها!

محيّر هو الالتصاق بين احتياج الصديق واحتياج الوحدة حين نكون حزانى.

أن يكوّمك أحدهم في أحضانه. يخبئك عن الدنيا ويقبّل روحك،

أن يجمع الهواء في يديه ويقدّمه لك، لتتنفس جيداً / لئلا تختنق،

أن يعجز عن النوم عدة ليال، وفي كلّ ليلة يبكي: قلبها / روحها يا الله!

في محاولة ألا تكون حزيناً، في الوقت الذي كنا قد نسينا فيه كيف يشعر كلانا بالفرح ليوم كامل!

ثمة حزن لا يمكننا انتزاعه قبل أن ينضج!
فقط أخبريني متى استيقظت وعلى شفتيك ابتسامة.

يا صديقة الفرح انتِ، صديقة الأشياء الجميلة فقط لا يلبس الحزن «رغم أنك تبدين جذابة جداً من خلاله»

ماذا لو كنتَ طائراً أعمى؟!

ماذا لو كنتَ طائراً أعمى؟!

يتحتّم عليك الاستمرار في الرفرفة / في التحليق عالياً إلى الـ لا مكان!

كلّ مرة تضرب فيها جناحيك. تعرّض نفسك لاصطدام غاية في الوجع «أو ربّما أسوأ» سقوط غاية في الإذلال!

كلّ حركة هي مجازفة جريئة نحو فضاء تعجز عن لمسه. فضاءٌ فارغ كـ قلب مودّع، فضاء مخيّب للآمال!

فضاء يحضنك ويخونك في الوقت ذاته، ولا تملك إلا أن تتملقه، أو تموت!

ترى. هل يشعر الطائر الأعمى بالعلو حين يكون كذلك؟!

هل بإمكاننا إدراك السمو، في الوقت الذي نكون فيه فاقدي حواسنا؟!

صِرتُ أخبئك في السَهرَ

أخبَرني أنّه من الجُنونِ أن أرفع سَقفَ أحلامِي عالياً جداً، لس
لأنّها إذا كانت رفيعةً جداً لنْ يقدِرَ أحدٌ على الوصول إليها، و...
أحلامِي معلّقةً كـ بالونٍ مغرٍ لَن يَستطيعَ الطِفلُ في داخلي الإمس...
ولَن أذوق طَعمَ الرضا، أو لذّة النَشوةِ بتحقيق الأحلام. والأمرُ
لئلا يَكونَ السُقوطُ مؤلماً أكثرَ من اللازم. وصَدقته!

رعباً مِن أن تذبلَ التفَاصِيلُ التي أتنفسُ من خلالها. اضطُر...
أجْعلَ أحلامي خَفيضةً حدّ عَجزي عَن الانحِناء إليها. أخاف ...
لدرجةٍ تمنعني مِن أن أرفعَ أحلامِي «ولو خُطوةً واحدةً نحو الأعلى»

الالتفافُ بالذِكرَياتِ والتَدثرُ بها قد يَكونُ أمراً عَديمَ الجَدوى،
تُحاولُ الحِفاظَ على قلبِك، وقلبِه، وعلى كلّ الأشياءِ الجَميلة
تكونت بينكما. ربّما في ظرفٍ كهذا لا بدّ مِنْ بَعضِ الخَسائِر
مِن أن تُلقي بِأحدِهمْ في غَيابَةِ النسْيانِ وتتأقلمَ على العيشِ بدُونِه،
تَغمِسَه بِقليلٍ مِن الوَجع «إن كُنتَ واثقاً مِن قدرتهِ على التشافي»

ولأنّي أريدُ الحفاظَ على قلْبِكِ أكثرَ منْ أيّ شيءٍ آخر، ولأنّي مه...
بالتفاصِيلِ التي تجمَعنا، ولأنّي أشعُر أنّ قلبي قدْ لا يحتمِلُ .

آخر. كَانَ لا بُدّ أن أحَافظَ «بجنون» على أشيائي العَزيزة مِن السُقوطِ والتوجّع.

حينَ أعبَأ ذاكِرتي بِك. هل يَعني ذلكَ أنّ رحيلكِ «أو غيابكِ» سَيكونُ أقلّ حُرقة، أقلّ غَصّة، أقلّ موتاً؟!!

عَلى اعتبارِ أنّ قلبِيْ ورِئتي وذَاكرَتيْ مَليئةٌ بِكِ جدّاً.

وعَلى اعتبارِ أنّ السُقوطَ على أرضٍ لينةٍ سيَبدو أقلّ إيلاماً!

كلّ أولئكَ الذين يثرثرونَ عن حَماقاتِ الاختباءِ الُمجدِي خَلف الذكريات: هلْ يُمكن لِذاكرَة متشبّعةٍ أنْ تحمِينا حقاً من الألم؟!!

أظنّ أنّ السُقوطَ بكلّ أشكاله مُوجِع. المُخيّب للآمال: فكرة أنكِ تنحَدرين مِنْ «سَعادةٍ» لأخرى أسفَل منها. بِغَضّ النَظر عن الوجَع الجسديّ، وأنك حين تنفضين عنكِ السواد، تتلفتين فلا تجدينَ يداً واحِدة تمتدّ إليكِ!

كلّ ما في الأمرِ أني مَليئةٌ بكِ أكثرَ مِن اللازِمْ «وأظنّكِ كذلك»، وأنّ حصيلتي مِن الأيّام الجَميلةِ معكِ لا تتسع لها الدنيا. صِرتُ أخبئك في السَهرْ، في آخرِ النسَماتِ الباردة، في الساعةِ الثانيةِ صباحاً حيثُ الجميعُ يرتكبونَ الأحلامَ فقطْ دُونَ أن يتجرؤوا على النهوضِ صباحاً وتحقيقها، أخبئكِ في قِصَصِ الحبّ التي لا تَملكُ نهاياتٍ واضحة، أخَبئك في الأشياءِ الجَميلة، الأشياءِ الغايةِ فيْ الجمالِ فقطْ.

هَلْ يُمكنني العَيشُ بـ نِصفِ قَلبْ، نِصفِ رُوح، ونِصفِ ذاكرَة؟!

أين يفترض بالصديق أن يقف في مواجهة الحب؟!

كان من الأحاديث الموجعة التي تستهلك فيها قدرتك اللغويه
آخرها، ذلك الذي تفقد بعده رغبتك في قول أي شيء
الأحاديث التي ترسمها في عقلك وتعيد الحوار فيها كل مرة.

حين غيرت الكلمات التي تحزنك، أو تؤذيك أو ربما توجعك
يتبق عندي ما أحكيه!

لم تواطأت الأشياء ذلك المساء لجعل العتاب أكثر ليونة بالنسبة
كـ صديق، لم يكن يفترض بي أن أقف صامتاً وأدع الحب يسـ
في منحى آخر بعيداً جداً عن جمالية اسمه وتصورك / تصورنا له!

لم أكن لأدع الحب يسرق من عينيك ما افتقدته فيهما ذلك اليوم
أكن لأدع الحب يبكيك بهشاشة، وأظل صامتاً!

الحب الذي نعرفه لا يضعك أمام خيارات موجعة، لا يكسر
يفقدك أصدقاءك شيئاً فشيئاً!

الحب يجعل عينيك تلمعان / قلبك يخفق بنشوة لذيذة
وحزناً!

الحب يبقي أطرافنا باردة لأننا نحب ليس لأننا نخاف!

لا يفترض بالحب أن يجعلنا أكثر تعاسة!

الكتابة فعل «استجدائي» لأبعد حدّ.

هل تدرك الشعور الذي ينتابك حين تتكوم الانكسارات عند روحك ولا تجد متسعاً للتنفس إلا من خلال الوحدة؟! الوحدة الم ساعة تصدّ أحبابك وأهلك وأصدقاءك وتختلي بحزنك الذي تعب، التنفس من خلال فتحات غاية في الضيق.

قد يتعفن الحزن ويتحول لشيء غاية في البشاعة إن لم نملك الشجا للاعتياد على أن نتنفس من خلاله!

أخبرني صديق: حتى حزنك مرهق!

لديك قلبٌ لا يقبل بأنصاف الحلول، إما أن تتعلم كيف تشفي جر أو تعتاد التعايش معها. كم حزناً تحمل أصلاً؟!

الكثير، أنت تملك روحاً بكاءة تستلذ الحزن.

ما الذي يميز حزناً عن غيره؟!

آممم، كلها أحزان في النهاية!

إلا أن ثمة حزن فوق الكتابة، يرهقك ولا تختصره الكلمات لا يمكنك البوح به لـ صديق!

ثمة حزن نخجل منه، وآخر يبكينا وينتهي الأمر!

أن تبقي على قيمتك الإنسانية من خلال الكتابة، أو بمعنى: أن تبقى لائقاً بالحياة من خلال الحزن. أكثر الأمور مثاراً للسخرية!

الكتابة فعل «استجدائي» لأبعد حدّ.

أنت تطلب من حزنك أن يتشكل كما تشاء، بطريقة تناسب مزاجك وجرحك وجرح أحبابك. ولا يكون الحزن طيعاً في جميع الأحوال!

بين الانكسارات التي تبقي إنسانيتنا بخير، وبين تلك التي ترمينا تحت الكتابة.. علينا أن نحذر أين نضع قلوبنا!

و. [فيك]: يا كثر الأماني!

وتخونني كلّ المحاولات لئلا يكون «أجمل»!

كلّ ما في الأمر أني أريد أن أكون (أبعد) من أن أوجعه كثيراً، هو الـ..
أظنّ «ولسبب ما» بأن له قلباً لا يليق به الحزن / قلباً ليس من المفتر..
أن يحزن!

أخبرني مرة: عيناك تحكيان أمراً يخيفني دوماً وكأنّ أحدنا سيفقد الآخر
بخوف طفوليّ / أجرّ أشيائي بعيداً عنه بين الخيبة والأخرى.
بغباء الأرض أن النسيان كفيل بطيّ كلّ شيء، غفلت عن أنّ الأرواح
تطوى! واللحظات الجميلة إذا فاضت لا يمكن تجاهلها
«معه»أينما وليت قلبي فثمة جنّة.
كلّ اللحظات معه مدهشة، وكلّ الحماقات التي ارتكبتها معه أحبه
«وإن كانت لا تغتفر»!

نختلف كثيراً / كثيراً جداً إلا أنّ كلّ ما أحتاجه منه لأكون بخير
نظرة .

التناقضات التي نحملها كلفتني الكثير في البداية. هو الذي كانت صداقتي معه مهاودة ناجحة تحسب لصالح القدر، حين ألقيت بقلبي على روح لا أعرفها جيداً، ولم يخيب ظني به!

اسرقوا مواعيد مع الفرح وخبئوا أمنياتكم (L)

الخوف من الموت أبشع من الموت نفسه!

لم أمت، لكني لم أكن قادراً على الحياة!

يحتاج منا الفرح الكثير لـ نقترفه، لنسرق موعداً معه بعيداً عن الأ
المتلصصة!

موعداً يعبئنا بـ أمنيات كبيرة / أمنيات تستحق أن نحتفي بها ونخ
في جيوبنا. بدلاً من التي ألقينا بها واحدة بعد الأخرى حين ظننا
جدوى منها، وأن ليس ثمة مساحة لارتكاب / اختلاس موعد مع الفر

لم يكن علينا الإلقاء بأمنياتنا على قارعة يأس. ربما كان من الأج
أن نحتفظ بها في جيوبنا، حتى ون كانت مهترئة وممزقة! قد تسا
شيئاً! يمكننا أن نساومها بـ دفء نستر به أضلعنا / خيباتنا الباردة.

دائماً هناك فرصة لمهاودة أي شيء بأي شيء، حتى وإن كان منا
إلينا!

كلّ الحياة موت!

كلّ الحياة موت.   في النهاية!

ليس ثمة ما يثير الاهتمام في حياتنا عدا طريقة «تشكيلنا لها» لتتناسب مع شكل الموت الذي نرغبه.

يمكننا إذن اختيار ميتتنا.   كلّ ما نحتاج إليه هو أن نخلف انسجاماً ما بين حياتنا وموتنا، إذ يؤدي كلّ منهما إلى الآخر!

كلّ الكلمات / الإيماءات / الأشخاص الذين نختبئ في أعينهم أو ربما نتكئ على أكتافهم.   كلّ الصدمات مع أنفسنا ومع [الآخر] مهما كان شكل الآخر   كلّ الرؤى والأحلام والأمنيات.   كلها تؤدي إلى الموت الذي نريده، أو ربما لا!

ما هو شكل الموت الذي أتمناه؟!

تشابه البياض علي!

القريبون من القلب «أو من كنت أظنهم كذلك» يبدون بعيدين جداً كلهم انسلوا من حولي غير آبهين.

قلوب باردة تبتعد كثيراً، وهي تعلم بأن الموت أقرب لك من حبل الوريد، لا يستطيعون إكمال المشهد وارتكاب الصدق حتى آخره، و انتظار الحياة لتغيبني تماماً عن الوعي بما يفعلون.

نصف ذاكرة / ونصف وعي. إلا الخيبات فإنها تأتينا كاملة، لا تقبل بأنصاف الحلول، ولا أنصاف الفجائع!

كلّ عام وجيوبكم ملأى بالأمنيات

وتسأليني لمَ السماء تبدو في الصباح أكثر زرقة؟! ولم بتّ أكره مواسم الأعياد؟! ولم ننفض الغبار عن أمنياتنا كلّ عام، نعلقها ونعتني بها كفستان حريري جديد.. فتبلى وتتساقط أمنيةً تلو الأخرى؟! ما جدوى الأمنيات إن لم تتحقق!

وتسأليني يا صديقة: ماذا تتمنين هذه السنة؟! وكأنّ الأمنيات مخبأة في جيبك الأيسر، وكأن لا شيء يستحق عناء التمني!

- آممم، أتمنى ألا أفقد الكتابة.
- وهل الكتابة أمنية؟!
- «أمنية ضرورية» تبقيك في الحدّ الذي لا ترغبين في النزول عنه!
- تترفعين بالكتابة؟!
- أتنفس.. هنالك فرق!
- تقرأين نفسك أكثر من اللازم!
- لم أجد أحداً يعتني بقلبي أكثر..

طيّب ماذا تتمنين؟!

وماذا إن عددتُ عليك أمنياتي أو علقتها على ورقة؟!
هل يكترث الآخرون بما أتمنى حقيقة؟!
أتمنى أن أحتفظ بكلّ الأشياء الجميلة التي رأيتها، آمنت بـ لمستها. بكلّ الأشخاص الذين عقدت صداقةً متينةً معهم وعانيت أحافظ عليهم. أتمنى أن يبقى الأصدقاء أقرب من كلّ شيء، الأصد الذين لا جدوى للعالم من دونهم. أتمنى أن يظلّ طعم الذكريات أحتفي بها عالقاً في فمي، وأظلّ قادرة على استحضار شكل الشـ اللذيذ الذي تعثرت به يوماً.
أتمنى أن تكون أمّي بخير
أتمنى صدفة تلقي بي أمام قلب يشبه قلباً فقدته!
وأتمنى أن أعيش عيداً كأعياد الأطفال، خالياً من الحنين اللا مجدي

ساعة تتحقق أحد الأمنيات التي نخبئها / نحتفظ بها لأنفسنا، نشـ بأننا نرتفع عن الأرض خطوة، ونشعر بأن رئتينا تستوعب كماً أكبر الهواء. للأمنيات نشوةٌ لا يدركها إلا المحرومون! أولئك الفاقدين «أشيائهم الثمينة» التي لا يدرك قيمتها الحقيقية غيرهم.

قبل ٣٦٥ يوماً، سألت صديقة عن أمنية. وأخبرتني أنها تتمـ الحبّ، وأنا! رغم أنها اعترفت لي بأنها كانت تظنّ أني أمنية عصيّة عـ التحقيق. إلا أن ذلك كان أشبه بأن يغلّف أحدهم قلبك ويقد لنفسه.. عامٌ كامل وأنا أحافظ على هذه الصديقة الاستثنائية، وأدا

روحها كثيراً، وأدعو الله أن تقع في الحبّ دون أن يخذلها! أن تتعثر بحب يليق بها

لهذه الصديقة: أحبك.

ولصديقة أخرى: نصف عمري تظلله صداقتك التي أحبّها أكثر من أي شيء، عشر سنوات ولا زلت ظمأى للمزيد. كوني أقرب من أيّ وقت مضى. تدركين جيداً أني أحبك كثيراً!

لها: كوني شفافة كفاية لـ تعلمي أنك المقصودة

يا صديقة:

عباراتك المختصرة التي تلقينها ذات «حديث» وتغادرين بعدها سريعاً. أجمعها فيّ وأقرأها في اللحظات التي أعبر فيها النور، يعبرني فيها.

كثيرة هي التفاصيل النورانية في روحك، لذا علي انتقاء اللحظات الأكثر صفاوة / نقاء.

الأشياء الغاية في الشفافية تحتاج طقوساً مختلفة للاحتفاء بها

شتاء نوفمبر

غافلني البرد وأنت ملقى في وجعك!

كنت مستعدة للشتاء بطقوس أكثر حميمية وجنوناً مما بدا!

كنت أنوي الاحتفاء بكلّ انتفاضة برد.

خططت للكثير من أكواب القهوة الصباحية، للكثير من الأصوات التي أحبها، لكمية من [قرب] الأصدقاء تبقيني بخير، لكثير من الحبّ.

لم أكن لأظن أن البدايات ستكون هكذا!

يفترض بالشتاء أن يحمل لنا رائحة الأصدقاء / ملامح من نحبّ، لا أن يلقي بهم في مساحة من الغياب أرهقهم الخروج منها!

لكن كـ عادة إنسانية متأصلة فينا نعتاد الحزن أسرع من أي شيء آخر!!

تحولت الصباحات الباردة إلى [طقوس حبّ].

كنت أؤمن بأن لا شيء يمكن أن يخرجك مما أنت فيه إلا أن أحبّك أكثر. أكثر من أي وقت مضى!

كنت أدعو ألا يخذلني الحبّ، ولا تخذلني.

ثمة قلب انتفض كثيراً، ربما لن يحظى بالدفء حتى حين. وسيظل عمره [يرتجف].

تشابه الصقيع علي.

مجرّد. كيف نرتكب الفرح؟!

ويتغير شكل الحزن، وعليك أن تسعى جاهداً لـ إدراك متنفسك. سابقاً كنت أحيط بأحزاني وأدرك شكلها ومزاجها جيداً، كان عندي القدرة على فهم حزني، وتدليله وإرضاءه!

أما اليوم فأنا غريب عن حزني، غريب عن قلبي!

أقف أمام حزن لا أستطيع فهم شكله ولم أشتهيه من قبل. وألمح في عيونهم ألف حديث وعبرة، حديث قلب لا يفسره شيء، ولا أحد منهم يجرؤ على تعريته لي. كان لزاماً علي أن أقرأ أشباه البوح من خلال أعينهم!

مجرّد السعي نحو ملء فراغاتك بـ أشباه فرح، أمر مرهق أكثر من الحزن نفسه. في مرحلة ما، تحتاج «الاستكانة» أكثر من أي شيء آخر، تشعر بأن هذا الحزن ما هو إلا جزء منك، ويغدو من الصعب أن تفصله عنك!

التآلف مع الحزن مهاودة لا يدركها / يسعى لها سوى أصحاب الجروح العميقة، التي تحتاج مساحة زمنية للشفاء أكثر بكثير من الوقت الذي تكونت فيه!

الجرأة في لمس الجرح نفسه، والكتابة عنه والتنفس من خلاله
تتطلب وقتاً أيضاً، وحتى تصل إلى يقين بأن لمس قلبك لن يوجعك و
تنتفض، ستدرك بأن بقاءك حزيناً قد يوفر عليك الكثير من النبض
مجدي، والاختناق. وأن ذلك أكثر أماناً من أن تحرك قلبك، فـ يبه
مجدداً!

قد تكون الرغبة في البقاء على ما أنت عليه فوق كلّ الرغبا
الأخرى. أقله أنت معتاد على نمط نبضك، ولن ترعبك خفقات قلبك!

مضلّل هو الحزن الذي لا نجد له متنفساً!

ذلك الذي ترضيه الكتابة ثم يصبح عصياً عليها، يغريه البوح، ثم
يجد قلباً يستحق أن يحزن من أجله، يخدره لحن ما فـ يجد نفسه فاق
القدرة على الإنصات!

أصعب من الموت نفسه، ومن انتظاره. إخبار من تحب بأنك
راحل، ودسّ قبلة في أيديهم لـ يجدوا رائحتك قريبة منهم بعد ذلك!

وينبض في داخلي أكثر من قلب. كلها تحبك!

بعيداً جداً عن الخوف،

وينبض في داخلي أكثر من قلب. كلها تحبك!

ليس الأمر كأني أدرك شكل الشتاء القادم القريب وأتدثر بما أقدر عليه من دفء، كلا على الإطلاق!

الأمر أشبه بأن يحضن أحدهم يدك ويظل يفعل ذلك طوال اليوم. ثمة شعور غاية في اللذة يمنعك من الخوف حتى وإن أردت ذلك، يمنعك من البكاء، يمنعك من ألا تكون بخير وجداً!

يد خفية تحضن يدي، تتلمس قلبي، تتخلل أصابعها بين خصلات شعري التي بدأت بالالتفاف وتهمس:

ـ لا تخرجي وشعرك مبلل!

ـ لكنها تمطر في الخارج، وقلبي مبلول. فما الفرق؟!

كـ يتيم لم يظن أن أحدهم يوماً قد يمسح على رأسه بعد أن كبر كنت اعتقدت أن ذلك الجزء من قلبي مرّ عليه الكثير من الأرواح، وأنه قد تخدّر أصلا وأن لا طاقة له بالحنين الذي أغمّسه فيه!

في المرة الأخيرة التي غمست قلبي فيها بحنين بارد موجع. كاد يغرق، وخفت ألا أعود أحبك كما كنت! حصل ما أخشاه لكن بـ نـ أخرى. لم أعد أحبك كما كنت: أصبحت أحبك أكثر، أكثر بكثير!

يا الله!

أطراف يدي باردة ولا أستطيع التوقف عن الابتسام. ها أنا أملك ق قادراً على الحب من جديد!

أنت عيدي (L)

كم من يزرعنا فيه عميقاً، ويمضي!

يغرس فيك الأشياء الجميلة «على الأقل التي تشعر بأنها كذلك» ويتركك معها.

لطالما فشلت في الاحتفاظ بالأشياء الجميلة كما هي دون أن أشوهها! لطالما فشلت في الاعتداد بـ أشيائي العزيزة كباقي الناس، كأن أربط إحساس «الفرح» مثلاً بزمن أو مكان أو حتى رائحة.

أوقن بأن ذلك يحبس الشعور في مساحة أضيق مما يستحقها، أصغر بكثير من التي تنفسناها للمرة الأولى مع الأرواح التي منحتنا إياه، ونبخس النبض حقه!

أن نحيط بالفرح من خلال الأشياء والأشخاص، معنى ذلك أنه حين يتخلى عنا أحدهم أو يرحل، أو ساعة تتغير أحد الثوابت التي نتكئ عليها. فـ ذلك معناه أننا نخسر الكثير حتماً!

نخسر أكثر مما تقوى قلوبنا على احتماله، في الوقت الذي بلغت بنا الهشاشة حدّ العجز عن ارتكاب الفرح مجرّداً!

لـ مجرّد أن الروزنامة تتوقف عند محطة جماعية للفرح، ليس معناه قادر على ذلك!

مواسم الأعياد بالنسبة لي ليست مزاجاً للاحتفال، كيف يمكن ارتكاب الفرح بدونك على أية حال؟!

لا أزال أملك أمنية أخبئها لـ عيدك الذي ستكونين فيه قريبة أكثر من شيء.

هل نملك من العمر ما يكفي لارتكاب فرح مترف كهذا؟!

كان فجراً كألف سنة مما يعدون!

حنّيت!

أولئك الراحلون بأرواحهم إلى سماوات أخرى. بدا بعدهم من القداسة بمكان لم نعد نجرؤ فيه على أن نكون قريبين منهم بشكل من الأشكال! للسماوات حرمتها يا صديقة، وأنا التي صرت أحدق في السماء طويلاً مؤخراً، ويوجعني حقيقة أني لا أعرف حتى في أي واحدة من السبع أنت!

كيف نقتسم التفاصيل الأرضية مع من هم في السماء؟! هل من الغباء أن أقضي الليل بطوله أبوح لك؟! أو هل من السذاجة أن أنسى كيفية الفرح «ولو مؤقتاً» حنيناً لك؟!

منهك هو الاشتياق للموتى، إذ ليس ثمة طريقة لأن نحتضنهم، أو نصل إليهم، أو نسمعهم نحيبنا، أو يروا آثار بكائهم في أعيننا. يظل رثاء الأموات بارداً كأجسادهم! موجعاً لدرجة أنك مهما بلغت من الحزن أقصاه. لن تصل روحك حتى لأطراف السماء الأولى. حيث هم «فوقك» بكثير!

يقتلك الحزن على الموتى. ولكن دون أن يأخذك إليهم!

حين تبكي الأموات. عليك أن تعتاد البكاء «المريض» الذي يجب ألا يلحظه أحد، ولا يمسك أطرافه أحد، ولا يدوسه أحد!

أخبرتك مراراً: لا تزرعيني في جنتك! لست سوى مضغة من «حزن»، ولا أصلح إلا له. الفرح لا يناسبني!

ولم تصدقي بأن أحداً لا يليق به الفرح! وكانت هداياك، قطعاً من نور! وصارت كل الصباحات تحتفي بك، ومن حيث لا أعلم. بلغت من القلب مكاناً قصياً!

ثم صرت لا أملك للصباحات ذاكرة!

كل تلك القطع اللذيذة التي أهديتني إياها، بدا بعد ذلك أنها تحاول كثيراً أن تدفعني للحياة. وكأنه كانت حريصة على أن أعيش بخير «بعدك»!!

أجمل ما في الأمر أنك رحلت وأنت متأكدة بأنه لن يجرؤ أحد على أن يخدش يقيني بك. ذلك اليقين الذي فقد (كل شيء) بعدك! وصار يوبخني على النبض، وعلى الفرح، وعلى الحب، وحتى على التلذذ بصباح مخملي رائق! صار اليقين يوجعني أكثر من أي شيء. ويؤذيني أكثر من أي شيء. هنا فقط: حين يكون الصدق هو كل ما نملك، وأقسى ما نملك!

خارج النص /

هل صحيح بأن الموتى لا يشغلون أكثر من سنة في حياة الناس؟!!

مساؤهـ ليلك،

ويحمل الحنين لهم أكثر مما يحتمل لغيم. فلا تعود السماوات تفعل شيئاً سوى البكاء ربّما، البكاء عليهم لأن قلوبهم ليست بخير، وقلوبنا كذلك. ولكن لا يجدي المطر شيئاً سوى تخديرنا بكميات فرح هائلة لم نعتد عليها ولم نألفها!

ونختبئ تحت السماء / نختبئ بـ إنسلة «هشة»، نختبئ خلف كل شيء! خلف ملامحنا، وكلماتنا، وخلف التفاصيل التي تغرقنا بنبض غاية في اللذة. نبض سرعان ما ندرك ألا جدوى له بعد رحيل أصحابه!

ويرهقنا جداً أن نخبئ آلامنا / أمنياتنا عن الآخرين!

فرق بين الأمنيات التي نعلقها على أبواب السماء لمجرّد أنها (أمنيات)، وبين تلك التي تتحول من كونها «أمنية» إلى أمر أشبه بتعويذة قلب، وروح.

أمنياتنا التي نلصقها بالمرآة لتقع أعيننا عليها كل صباح، ويرضينا ذلك أكثر من أي شيء آخر قد نراه في مرايانا. حيث كانوا «ذات يوم» أصدق من المرايا!

أمنياتنا التي (نتنفسها) حين تغدو مساحات القلب، وحاجات الشما. أكبر منا حيث نحن عالقون في وحدة لا يراها سوانا، ولا توجه سوانا.

أمنياتنا التي يخنقنا البكاء حين نتوق لأن نسمع نبرتهم، هناك ألف نبر متشابهة جداً، كل ما في الأمر أننا لا نرتعش إلا لسماع واحدة فقط بكل عثراتها ومحاولاتها إيجاد كومة كلمات تليق. وتخرج بعد عثرات لذيذة، وفي كل مرة. تخرج متشابهة في النهاية!

تلك الأمنيات هي الأجدر بالسعي خلفها!

كومة الأمنيات الأخرى التي نلقيها على عتبات السماء ثم ننساها / نلقي لها بالاً تلك التي قد ندوسها دون أن ندري، ودون أن ترتبك أشيائنا لسقوطها تحت أقدامنا. ليست أمنيات بقدر ما هي قطع مشوهة / كاذبة. أشباه أمنيات نختبئ خلفها كمحاولة يائسة لأن نريهم أن ما ينقصنا، بينما يكمن الوجع في مساحات أمنيات مختلفة تماماً.

كل من نبضت لأجلهم: رحلوا! ربما في المرات القادمة علي أن أكون أكثر حرصاً على إيصال أمنياتي العزيزة إلى أبواب السماء. وحتى هذا الصباح، تظل (روحك) الأمنية الأجدر بالسعي خلفها.

كلّ الأشياء تبدو مخيفة بدونك!

تبدين بعيدة جداً لأعانق روحك!

وأموت ألف مرة يا صديقة!

يقتلني الحنين ويقتلني أنك قريبة، وأنني أتمنى «كثيراً» أن أبكيك بين أياديك. ولا أقدر! تبدو روحك [أفخم] من البكاء بمراحل.

يقتلني أنك راحلة لا محالة. وأن أشيائنا اللذيذة ستموت وتتساقط لحظة نخطو خطواتنا باتجاه مختلف، وبأن كل الصباحات المقبلة ستكون خالية تماماً منك!

يقتلني بأني لم أعد أعرف كيف أحبّ أحداً آخر، ولا أستكين لقلب آخر ولا أتلذذ بتفاصيل روح أخرى. وتقتلني وعودك الباهتة بالبقاء وطمأنتك لقلبي الذي تعب الارتجاف!

يقتلني ضعفي المذلّ وأنا أقف تحت ظل اللقاء وأتكئ عليه، أجمع تفاصيلك وأشيائك (الأخيرة) بحرص شديد / مجنون. وتتساقط ذاكرتي من بين يديّ! لن أظل قادرة على حمل تفاصيلك طوال العمر، ولن أستطيع العيش دونها أيضاً.

أجمل ما في الموت أننا لا نعلم متى يأتي!

الحزن المرّ الذي يتبع فقدان أرواح تشكل مساحة هائلة من قلوبنا يغدو أمراً محتماً أكثر منه ترفاً عاطفياً، والانكسار والفاجعة على الأرواح الراحلة. يبدو مبرراً حين يغتالنا الموت فجأة! لكنه يبدو حماقة كبرى حين نعلم مواقيت الرحيل. ونظل نبكيهم خوفاً، وقلقاً، وغربة تنهكنا رغم أنهم لا يزالون قريبين / قريبين!!

موجع أننا ندرك بأن أرواحنا المرهقة من وطأة الغياب ستتكئ على (غيرهم) ذات يوم! ستتكئ باستكانة مخجلة، بضعف مذل! ستتكئ رغم أن «غيرهم» أقل دفئاً، وروعة، ولذة!

ليس الأمر أنني لن أقدر على النبض بعدك ؛ القلوب البشرية تحمل من «الأنا» كماً هائلاً لدرجة أنها لا تتوقف بعد رحيل أحدهم! كل ما في الأمر أنني لا أريد أن أنبض لـ غيرك. ليس بعد أن أوقعتني أقداري في جنتك على أية حال.

مرّ أن نجرّع أنفسنا الغياب كمحاولة للاعتياد عليه حين يكون «نمط حياة» أكثر منه غياباً مؤقتاً. وذلّ أن ندوس على قلوبنا ونقنع أنفسنا بأن الحياة لن تتوقف عند رحيل «أحدهم». حتى لو كان قلباً بدا قربه (قطعة من جنة). وحتى لو بدت التفاصيل بقربه ألذ ما يكون. وحتى لو كانت أرواحهم تشكل مساحة هائلة من القلب والروح والذاكرة. هائلة لدرجة يصعب علينا العيش دونها، أقله العيش كما كنا!

بعض القلوب حين تطأ أرضها، تكون العودة كما كنت ضرباً من المستحيل!

قلوب طيبة علمتني أن لحظة صداقة تساوي الدنيا بملذاتها. وأن القلب الذي لا ينبض إلا ليعيش لا يستحق هذه الحياة أصلاً!

قلوب علمني بأن للحب أكثر من وجه، وأكثر من لغة، وأن هناك أكثر من طريقة نغلف بها نبضنا الصادق لأحدهم.

قلوب علمني كيف يمكن أن يقدم لك أحدهم يوماً رائقاً، فقط لأنه أيقظك. وصباحاً غاية في اللذة. لأن عيناه كانتا (أجمل) ذلك الصباح. رغم أن عيناه دائماً «أجمل»

قلوب علمتني أن [الوطن] انتماء / انغماس في أرواح غاية في الدفء.

قلوب علمني أن الصمت أكثر جمالاً، وأصدق..

.. كلّ الأشياء تغدو مخيفة بدونك!

والقلوب لها ذنوب.

أيها الـ رحيل.

صوب باتجاه القلب مباشرة ولا تحاول الاقتراب، فالجروح النازفة تكره اللمس يا صديق!

فقط قف بعيداً وابك إن شئت على كل الأشياء التي أدركنا للتو بأنها انكسرت فينا.

(ذل) أن نقع وأرواحنا تحت وطأة ذكرى وحلم، ونقف حقيقة على حافة الجنون. فقط لأن علبة زجاجية «انكسرت»!

ترى. ما الذي يمكن أن تحمله لنا قارورة عطر؟!

ذكرى، شعور، حياة، خيبة؟!

هل كنت لأفكر يوما بأن «فرحاً» لن يعانقني إلا من خلال زجاجة؟!

بدونك. كل الأشياء فقدت دهشتها إلا تلك الزجاجة المستطيلة التي يمتلئ نصفها بسائل ذهبي ثمين. سائل يزفك إلي كل صباح. صورة وخيالات لذيذة. تأتين بكل تفاصيلك محملة بدهشة الأشياء الجميلة.. تطلين على روحي بدفء يحرضني على العيش بعدك...

من كان يصدق بأني أنا الذي لم تكن ساعات اليوم لتملأ شغفي الطفولي بأمومتك. صرت أكتفي برشة واحدة من عطرك!

هل كنت لأتصور يوما بأن كل ما سيتبقى لي من أمي هو رائحة احتضانها؟!

الرائحة فقط! من دون الدفء، ومن دون أصابعك الممتلئة تحيط بي وتمسح على شعري، ومن دون ارتمائي في أحضانك بجنون يروقك أحيانا فقط.

كل صباح أقف أمام المرآة. أتأمل الشبه الصارخ بين أعيننا. أمسك بالزجاجة بأصابع باردة. أغمض عيني بهدوء وأنثر رشة في الهواء أحاول جاهداً ألا تضيع مني الرائحة. تتابع الصور في الذاكرة بحنين مرهق. يزداد النبض احتياجا. ويبكيك القلب يا أماه!

كل صباح كنت أرضي الطفل في داخلي وأخرج قلبي للحياة مشيعا بدعائك. لم أكن لأتصور بأن فرحي سيزول يوما ما بصورة مفجعة. لا أعلم كيف تعثرت بطرف السرير وسقطت الزجاجة من بين أصابعي فجأة!

كل ما رأيته حين فتحت عيني لقوة الرائحة. زجاج محطم وأصابع نازفة، وأرضية امتلأت بك. ربما هذا اليوم فقط!

ألصقت رأسي بجنون على الأرضية الباردة. وبكيت!

لأول مرة أعري أحزاني وأبكي بهذه المرارة منذ رحلت!

بكيت يتمي يا أمّي. بكيت ضعفي المذل. وصمتي المرهق. دفاتري الباردة. وقلبي الموجوع!

علمني رحيلك ألا أسرف في استخدام الفرح.

علمني ألا أبعثر ذاكرتي في الأصوات والصور والخيالات، وأختزل كل شيء في سحر تلك الرائحة.

علمني بأن الذين تغيبهم الحياة. هم نفسهم الذين يجرون خطواتهم ببطء شديد بعيدا عن حياتنا. وسيأتي يوم ننظر في أعينهم فلا نرى سوى الفراغ!

علمني رحيلك بأن القلوب لها ذنوب يا أمي!

سماوي.

دوماً كان يبدو مختلفاً عنهم.

مختلفاً كثيراً!

لدرجة تجعله يفكر أغلب الخيبات. بأنه ربما كان ينتمي لعالم آخر. وأناس آخرين.

وكان ينتظر فقط أن يقولوها له صريحة: لست منا!

أن تشعر بأن كل أصابع التهكم تشير إليك بسخرية مريرة. وتصم آذانك ضحكاتهم الهازئة. شعور يحرقك. ويدفعك لنهاية واحدة: «الفناء».

هذا الاحتراق قد يكون عاصفاً، وبلا معنى. فلا يورث سوى الدخان الخانق!

وقد يكون هادئاً، بطيئاً. يورث لنا ضوءاً دافئاً. كـ شمعة.

صاحبنا قرر الصعود إلى السماء بروحه وقلبه، وتركهم بكل وحشيتهم يعيثون في الأرض فساداً.

كان سماوياً كثيراً!

كان يعلق آماله بربه، ويصعد إلى أمنياته خطوة خطوة. ببطء من يخاف السقوط..

لطالما كان يكره السقوط!

ويمقت الهاوية، وكل ما هو «أسفل».

حين تتحين الفرص له دفعةً واحدة. كان يعرض عن بعضها. ويقنع نفسه بعدم جدوى البعض. يسكنه خوف من فقدان الأشياء الجميلة كان متورطاً بالأشياء الجميلة فقط.

خوفه من أن تهوي به الأحلام في واد سحيق. كلفه كثيراً من الحذر. كان ينفقه كل يوم بإسراف.

صاحبنا كان يشعر بأنه جمرة مشتعلة، يحفها الرماد من جميع الجهات.

هذا الرماد يخنقه / يضايقه / يثقل كاهله.

وكان عليه أن يوقد همته بقوة أكبر ليبعد عن اشتعاله رمادهم الخانق.

أو أن يستسلم لرمادهم. وينطفئ نوره بين ركامهم!!

كان يشعر بأن عليه أن يجاهد كثيراً ليبقى في وجه سياط كلماتهم اللاذعة.

كل الأبواب التي يدفعونه إليها، لم يكن يوجد خلفها سوى النهايات.

إلا أنه كان يتظاهر بضياع المفاتيح التي يمدونها له. ويرهقه البحث عن مفتاح واحد يعرفه جيداً. لباب واحد لا يزال يبحث عنه. لا يعلم أصلاً إن كان موجودا فقط في أحلامه أم له مكان في واقعه الصغير.

ذات فجر

ذرف صاحبنا دمعة كانت غشاوتها تحجب عنه الرؤية الصادقة.

وجد مفتاحه.

وجد أبواب جنته كلها مفتوحة.

وجد أحبابه كلهم حوله.

وجد الحياة أعذب من أن نتوحد بأسى بعيداً عنها

ليس من حقك أن تحزني!

كان المكان يتسع فقط لخيبة واحدة: خيبتي.

لذا، ليس من حقك أن تحزني!

كان قدومك كمعجزة لم يؤمن بها سواي.

كألذ ما تكون الفوضى: كنت أنت. وكأشد ما يكون العاشق ارتباكاً كنت أنا!

همست لي ذات «فتنة»: يغريني انكسارك!

أخبرتك يومها أن تلك الأشياء التي «تكسرني» كانت من ذلك النوع الذي يتراكم دون أن ينفجر، ذلك الحزن الذي يعطيك مرارته جرعات. ويصعب عليك معرفة أي لحظة غيرتك / آذتك حقيقة!

ويستحيل عليك الموت. بينما تموتين ألف مرة!

كنت امرأة يغريها الحزن. وكنت رجلاً حزيناً حدّ الـ «سخرية»!

كنت أنثى ترتدي أقراطاً مذهلة وتتقن الصمت. وكنت رجلاً لا يزال يجلس على أرجوحة (ربما) فكيف للغة أن تسعنا معاً؟!

كان يكفي أن ألبس قميصاً أسود لتقعي في دهشتك اللذيذة، فأبتسم، فتدمع عيناك. وأدوخ!

إياك أن تفعليها!!

هذه المرة: لك.

وحدك كنت قادرة على خلق الفرق!

كل الانكسارات التي في روحي بدأت بالشفاء. إياك أن تفعليها بي!

يبدو أن كل الوعود التي قطعتها على نفسي بأن لا أعلق قلبي على باب أحدهم، لم تعد ذات جدوى. حين نبض القلب بقوة أجبرتني على أن أنسف كل خيباتي السابقة خلفي.

ولا أعلم متى بالضبط عثرتُ عليّ «أحبك» أحبك بعمق من لم يذق الخذلان يوماً، بـ «يقين» من لم يطعن في ظهره ذات (احتضان)!

الآن فقط أصبح للتفاصيل معانٍ أخرى / غاية في اللذة.

غدت الصباحات ملونة كـ قطعة من جنة. والقهوة عشق رغم مرارتها، نذوب فيها. وصوتك هدية فرح أتلقاها كل مرة بدهشة طفل. ويداك متكأ. متكأ أستلذ باللجوء إليه. وعيناك استفزاز مربك يغريني بأن أفتح له أبواب القلب!

بعد كل هذا. أرجوك لا ترحلي!

أنا لا أفهم رحيلك، ولا أتحمله!

كيف نعرّي جراحنا لمن يعنيهم أمرنا دون أن نبكي كثيراً، ونغص كثيراً، ويصيبنا الأرق كثيراً؟!

ودون أن نبدو تائهين نبحث عن مفردات لا تطأ الجرح، ولا تبتعد عنه!

حزينة أنا، إلا أن ثمة حزن لا يقال يا صديقة.

ذلك الحزن الذي يقف بين ما يخيفنا / ما نشعر به، وبين ما نلمسه ونراه حقيقة.

بين خوفنا من رحيلكم، وتلذذنا بقربكم.

هل سترحلون لـ مجرّد أنه لم يرقكم البقاء؟!

حتى لو أسفر رحيلكم عن موت قلب، واحتراق كثير من الدمع؟!

حزانى، ،

وها هو الحزن يسرق من أحبتي أكثر مما يحتاجه حقيقة. أولئك الذين يربط قلوبنا حبل متين بهم، أضحوا «حزانى» بكل ثقل الكلمة!!

يوجعني التعب الذي ألمحه جاثماً في أعينهم، ويوجعني أكثر (يقيني) بأن الحياة ألقت بي بعيداً عنهم. لدرجة أن صباحاتي بدأت تتخلى عن «ضرورة» التواجد في [جنتهم] وصارت تلقي بنفسها في أحضان أشخاص آخرين، ليسوا بالضرورة دافئين جداً. إلا أنهم «وبطريقة ما» استطاعوا أن يحتلوا مساحة لا بأس بها من القلب والذاكرة. وذاب ذاك الجليد المؤلم، تماماً حيث وضعوا أيديهم «أو ربما أقدامهم»!!

الآن فقط أدركت أن مساحة (الوحدة) في روحي شاسعة جداً. وأن من الصعب ترميم ما قد انكسر فينا يا صديقة!!

بحجم خيباتي: أحبّك.

يتم!

هل من الغباء أن نظل (نحب) من لا يكترث لأمرنا في النهاية؟!

أو. هل يستحق الراحلون بمحض إرادتهم أن نعلق قلوبنا بهم؟!

هل تطغى مساحات الغفران على مرارة الوجع الذي يسببه الغياب؟!

يوجعني رحيله.

ويوجعني أكثر أنه لا شيء عنه يلتصق بذاكرتي البائسة، لا شيء!

بدا رحيله نبع حزن لا ينضب، حزنا أكبر من أن ينبضه قلب لم يكن ذاق من الحزن أكثره. كـ شيء لم أستطع إحاطته بيدي. لم أقو على ابتلاعه، لم أقدر على نزفه. وعجزت عن نسيانه حتما!

كيف هو وجه أبي يا ترى؟!

(ذل) أن أجهد قلبي وأحاول استحضار ملامح روحه، بينما كان بإمكانه أن يجلس في الصالة ويشاهد التلفاز، كان بإمكانه أن يكون قريبا لدرجة يصلني معها صوت مذيع الأخبار. لكنه (رحل)!! بكل أحرف الرحيل الثقيلة، ابتعد مسافة كافية أعجز فيها عن قول: أبي. وأشتاق كلمة: «يا ابنتي».. أشتاقها حد الـ بكاء!

لم يعد يجدي الحب شيئا يا أبتاه!! بعد أن وقفت في زوايا الحياة المظلمة وحدي، بعد أن احتجت كتفا أستند عليه ولم أجد منك سوى «اسم» يلحق بي في كل أوراقي الرسمية. لم يعد يجدي الحب شيئا. بعد أن تنفست الريتم حتى تأذيت كثيرا. كثيرا جدا

ارحل إن شئت، فقد يكون الرحيل أشفى لأرواحنا!

قد تموت فينا أوطان!

ـ لا تقف بضعف أمام شباك العمر وترثي أشيائك المفقودة، وتتطاول بأحلامك لأبعد من حدود الحقيقة.

ـ ليس هناك حدودٌ للحقيقة!

ـ لا تحاول أيضا إخفاء ارتباكك، كل أصابع الاتهام في قلبي تشير إليك: أنت تخفي أمراً ما!

ـ ماذا يمكن أن أخفي؟!

ـ امم / فيم تحدق؟!

ـ الغروب.

ـ جواب كلاسيكي. ماذا يحصل ساعة تغرب الشمس؟! تفقد السماء قوتها / نورها فجأة، ثم يهيمن الظلام على كل شيء ببساطة. نفس المشهد. من الغباء أن نبكي على شمس ترحل كل ليلة! وتعود غداً كأن شيئاً لم يكن. هي لا تعبأ بفجيعتك اليومية!

ـ بين غروب وآخر، قد تموت فينا أوطان!

ـ وتحيا أخرى.

ـ الأوطان لا تولد من جديد.

ـ ليس نفسها بالضرورة.

يا بدايات المحبة،

سماها وطناً واغترب عنها.

علمها كيف تكتب. ورحل قبل أن يقرأ ديوانها الأول!

رحل بنهاية كلاسيكية. كلاسيكية جداً لدرجة لم تكتشف معها حتى اللحظة ما إذا كان صرحاً من خيال فـ هوى، أو ما إذا كان رجلاً حقيقياً بـ ملامح ونبرة صوت وطباع!

[الكتابة كما الحبّ].

الخط الفاصل بين الحقيقة والوهم فيهما رقيق جداً / مضلل جداً!

كلاهما يغيبك عن الأشياء المحيطة بك، يسرقك منها وعلى الرغم من ذلك يحملان في كلّ مرة دهشة الأشياء الأولى كأن لم تكن من قبل!

في قلب ما. بين نبضة وأخرى: «أبعاد أنثى» تكتب رجلاً لا تعلم إن كان حقيقياً أم مجرّد ظلال!

رجلاً اسمهـ [الحبّ]!

المحتويات



ثمة ما يخبرني

أنّ عليّ أن أتوقّف

عن إيذاء الآخرين بالكتابة ، عن وضعهم أمام مرآة غاية في الضخامة يرون فيها بأعينهم مدى ضآلتهم مقارنة بالفراغ الهائل في قلوبهم !

أنّ عليّ أن أتوقّف عن إخبارهم بأنهم "بشر" لا أكثر ! وأنّ عليهم أن يضعوا ساعاتهم على قلوبهم ليدركوا قصر الحياة وعدم جدواها !

ثمّة ما يخبرني أنّه عليّ أن أحكي للآخرين الحكاية التي زرعت في صدري شجر تين .. أصلها ثابت ويستظلّ بها أصدقائي .. شجرتي التي لا يسقط ثمرها إلا على الطيّبين ، ولا يسكن أغصانها إلا الراحلون إلى الموت ..

حكاية الصبيّة التي عبرتني ونسيت روحها البيضاء فيني ، صديقة العمر الجميل التي لا تشبه أحداً من الناس ، صديقتي الغاية في الطيبة ، الغاية في الحزن ، الغاية في الوحدة ..

صديقتي التي ماتت لأنها تخاف من الحياة !